
كتاب اليوم

القدس الأسير

صراع الصورة والبندقية

عرفة عبده على

لأجلك يا مدينة الصلاة .. أُصلى

لأجلك يا بهية المساكن

يا زهرة المدائن .. يا قدس

يا مدينة الصلاة .. أُصلي

عيوننا إليك ترحل كل يوم

تدور فى أروقة المعابد

تُعانق الكنائس القديمة

وتمسح الحزن عن المساجد

يا ليلة الإسراء .. يا درب من مَروا إلى السماء

عيوننا إليك ترحل كل يوم

نـــزار قبــانى



أسسه مصطفى وعلى أمين ١٩٥١

رقم ٦٢٧
ديسمبر ٢٠١٥

يصدر كل شهر عن
دار أخبار اليوم
٦ شارع الصحافة - القاهرة
تليفون: ٢٥٩٤٨٢٢٣
تليفاكس: ٢٥٧٨٤٤٤٤

تحرير
عمرو أبو السعود
تامر عرفات

للإعلان
٢٥٧٨٦١٣٧
٢٥٧٥٩٤٥٥
٢٥٨٠٦٢٠٦
٢٥٨٠٦٢٧٨

الاخراج الفنى والغلاف
طارق عبد العزيز



أول الكلام

ثمة رابط قائم - منذ الأزل - بين التاريخ والصورة، حتى قبل عصر الفوتوغرافيا كان الرسم، دائما لابد من معادل للصورة الذهنية أمام البصر.

حفر التفاصيل على سطح الحجارة، أو النقش على أسوار المعابد القديمة، أو حتى فى الكهوف، كانت بين أهم وسائل الحفاظ على الذاكرة التاريخية، على الهوية، ومن ثم تشكيل حالة الديمومة، وكان ذلك الأمر - تحديداً - الفيصل فى ترجمة فكرة الحلقات المتواصلة، المتداخلة، لتاريخ أمة، بينما تعانى أخرى من وجود مناطق فاصلة أو مساحات معتمة على امتداد تاريخها.

ومنذ عرف البشر الكاميرا - مع بداياتها الجنينية - لعبت الذاكرة الفوتوغرافية دورا مؤثرا فى صياغة الرأى العام، والقرار السياسي، بل إنها كانت بحد ذاتها بمثابة وثيقة يستند إليها أطراف الصراعات، لاسيما المعقد منها، ولعل القضية الفلسطينية - التى تمثل قلب الصراع العربى / الصهيوني - تمثل نموذجا صارخا فى هذا السياق، والقدس بوجه أخَص تعبر أبلغ تعبيرعن عقدة الصراع بما تمثله من حمولة رمزية، ذات دلالات عميقة فى المبنى والمعني، بكل مفرداتها المادية والمعنوية.

ومنذ العام ١٩٦٧؛ وعقب سقوط القدس فى أيدى الكيان الصهيوني، اتخذ الصراع مسارات مختلفة، بعد أن استيقظت الأوهام فى العقل الصهيوني، محاولا تصديرها على أنها أحلام تستند إلى حقائق تاريخية ودينية، بينما صحيح التاريخ والدين - على السواء - يذهب فى اتجاه معاكس.

وكما يحتفظ المقدسيون بمفاتيح بيوتهم، تماما كما فعلها قبلهم «ضحايا ٤٨» تحت وطأة ما اقترفته العصابات الصهيونية الدموية، فإن صور القدس ومعالمها الأبرز كالمسجد الأقصى وأبوابه، وقبة الصخرة، الكنائس والشوارع العتيقة بالمدينة المقدسة و... و... وكل ما رصدته الكاميرا مصدقا لثوابت التاريخ وحقائقه، أصبحت بين أوراق الملف الأضخم فى تاريخ الصراعات البشرية، وأطولها عمرا.

ومع اندلاع إرهاصات الانتفاضة الثالثة - انتفاضة الطعن والدهس - استدعت الذاكرة صفحات عمرها عقود وقرون سكبت عبرها الرسوم والصور، ما اختزنته الذاكرة الجمعية من صور ذهنية توارثتها الأجيال، ولم تتوان عن قذفها فى وجه عالم احترف الظلم والتزوير، والوقوف إلى جانب المعتدى الجلاد ضد الضحية المعززة فى المطالبة بحقوقها المشروعة بحقائق التاريخ وثائقه، ويقينا مدججة بذاكرة فوتوغرافية، وثوابت على الأرض لو كان ينطق الحجر بلسان، لفضح زيف كل الادعاءات المجافية للروايات الموثقة، لذا لم تصمد أبدا رغم أنهم يروجونها دون ملل أو كلل!

ومن حيث التوقيت؛ فإن إصدار كتاب «القدس الأسير.. صراع الصورة والبندقية» يواكب لحظة من أخطر وأدق ما شهدته

مراحل الصراع العربى / الصهيوني، والقدس تمثل جوهرها، بعد أن بلغت البجاحة حداً غير مسبوق، بإنكار الإرهابى نتانياهو أى حق للفلسطينيين فى القدس، ورفضه المستميت لأن تكون بندا فى أى مباحثات مع الفلسطينيين، مع الاستمرار الوقح فى إغراقها بالمستعمرات التى تطوقها مرة، وتمزق أوصالها مرات، وسط صمت مريب يفضح تواطؤ العالم مع العدوانى المغتصب، والاكتفاء فى أحسن الأحوال ببيانات شجب خجول، لا تردع عدوان المعتدى قيد أنملة.

من ثم كان قرار هيئة تحرير «كتاب اليوم» بالمساهمة فى المقاومة بالكلمة - السلاح المتاح لنا - من خلال إصدار الكتاب الذى أعد فصوله الباحث والمؤرخ عرفة عبده على حيث أبحر بالكلمة والصورة فى تاريخ زهرة المدائن المغتصبة، لإنعاش الذاكرة العربية، ومحاولة إيقاظ الضمير الانسانى من خياره الطوعى بإغماض العين تماما، عما يقترفه الصهاينة فى حق القدس بشرها وحجرها وتاريخها وحاضرها ومستقبلها.

لقد مر الصراع العربى / الصهيونى بمراحل كان للسلاح أحيانا الصوت الأعلي، وكان للمقاومة السلمية أحيانا أخرى صوت خافت، لكنه مؤثر، ثم كان المزج بين الأمرين على طريقة يد تحمل السلاح والأخرى تلوح بغصن الزيتون، وفى كل الأحوال كانت الصورة حاضرة مرات فى خلفية المشهد، وأخرى تتصدره فى مزيج فريد مع البندقية، والكلمة، وللأسف فإن الوضع لم يظل على ما هو عليه بعد

إعلان إسرائيل القدس عاصمة لها، ولكنه آل إلى مزيد من الحصار والهدم الذى هدد كل شيء حتى المسجد الأقصى الشريف.

إن هذا الكتاب صرخة فى وجه الاحتلال الغاصب، والمجتمع الدولى المماليء للمحتل، بل وحتى للانشغال العربى بتداعيات ما يسمى بالربيع العربى على مدى خمس سنوات كانت ذهبية بالنسبة للصهاينة!

كتاب «القدس الأسير» يصدر بمثابة «ڤيتو» بالكلمة والصورة، تعزيزا لانتفاضة الدهس والطعن، والعودة إلى البندقية مرة أخرى فى وجه إنكار متصاعد من جانب الصهاينة للحقوق الفلسطينية، بالتوازى مع ممارسة للعنف الدموى والإرهاب ضد الشعب الفلسطيني، ورفض للشرعية الدولية، من هنا تأتى أهمية الكتاب فى توقيت إصداره ومادته التى جاءت مثل ضفيرة جمعت الكلمة والصورة، فى رحلة تاريخية تؤكد كل محطاتها حق أصحاب الحق الذى لن يضيع أبدا، وإن طال أمد عودته، والمشاق والصعاب والتضحيات التى بُذلت، وسوف تبذل لتعود القدس - فى النهاية - عزيزة إلى أهلها، مدينة للسلام تحتضن المسالمين من كل الأديان، بعيدا عن التعصب والعنصرية والعنف والإرهاب.

على أى حال؛ فإن طريق النضال على ما يبدو مايزال شاقا وطويلا.

علاء عبد الوهاب

تقديم

عندما فتح السلطان الناصر» صلاح الدين والدنيا» مدينة حلب .. إمتدحه قاضى دمشق» ابن الزكى» بقصيدة ضمنها أمنية غالية ..

وفتحكم حلباً بالسيف فى صفر .. مبشر بفتوح القدس فى رجب

وتحققت أمنية القاضى الشاعر ودخل «صلاح الدين» القدس الشريف فى ذكرى الإسراء والمعراج يوم الجمعة السابع والعشرون من شهر رجب عام ٥٨٣هـ / ٢٠ أكتوبر ١١٨٧م لترتفع أعلام دولته الإسلامية وحدها فوق أسوار القدس العتيقة .. مدينة السلام، والتاريخ، والحزن النبيل، وبقية الروح الباقية فى تاريخنا وحضارتنا .. مدينة الإستمرارية الفريدة والسحر الخاص، تجلت فيها حكمة الأنبياء، ولعبت دوراً هاماً ومؤثراً فى سيرة الأديان السماوية الثلاثة، وشهدت جبالها ووهادها دعوة المسيح عليه السلام .. وإليها كان الإسراء بخاتم الأنبياء - معجزة الإسلام الكبرى - ومنها كان معراجه إلى السماء، هى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .. إلتقت فيها حضارة العالم، وشهدت مواكب الملوك والأباطرة والخلفاء والسلاطين، ومرت بها جيوش الغزاة والفاتحين، فكان قدرها أن تكون طوال تاريخها ميداناً للحروب وساحة للآلام والصراعات الرهيبة .

وتاريخ المدينة المقدسة : شديد التعقيد، كثير التداخل حتى ليبدووكأنه مخطوط قديم بات من المتعذر فك رموزه !.. فموقعها الجغرافى والإستراتيجى ومكانتها الدينية، كل ذلك، جعل معظم الأمم تتطلع للإستحواذ عليها، فحُرمت من أن تكون من «المدن السعيدة» !

والمدينة المقدسة، تمثل معيار قوة العرب والمسلمين، فإذا ما أعدنا قراءة التاريخ، فنجدها مدينة آمنة زاهية فى ظل قوة العرب وإزدهارهم، ونجدها» أسيرة عاجزة» فى ظل الضعف والإنهيار الحضارى، وهى قلب قضية العرب والإسلام، بكل أبعاد المواجهة الحضارية والثقافية والإقتصادية والسياسية والعسكرية مع عدونا التاريخى ..

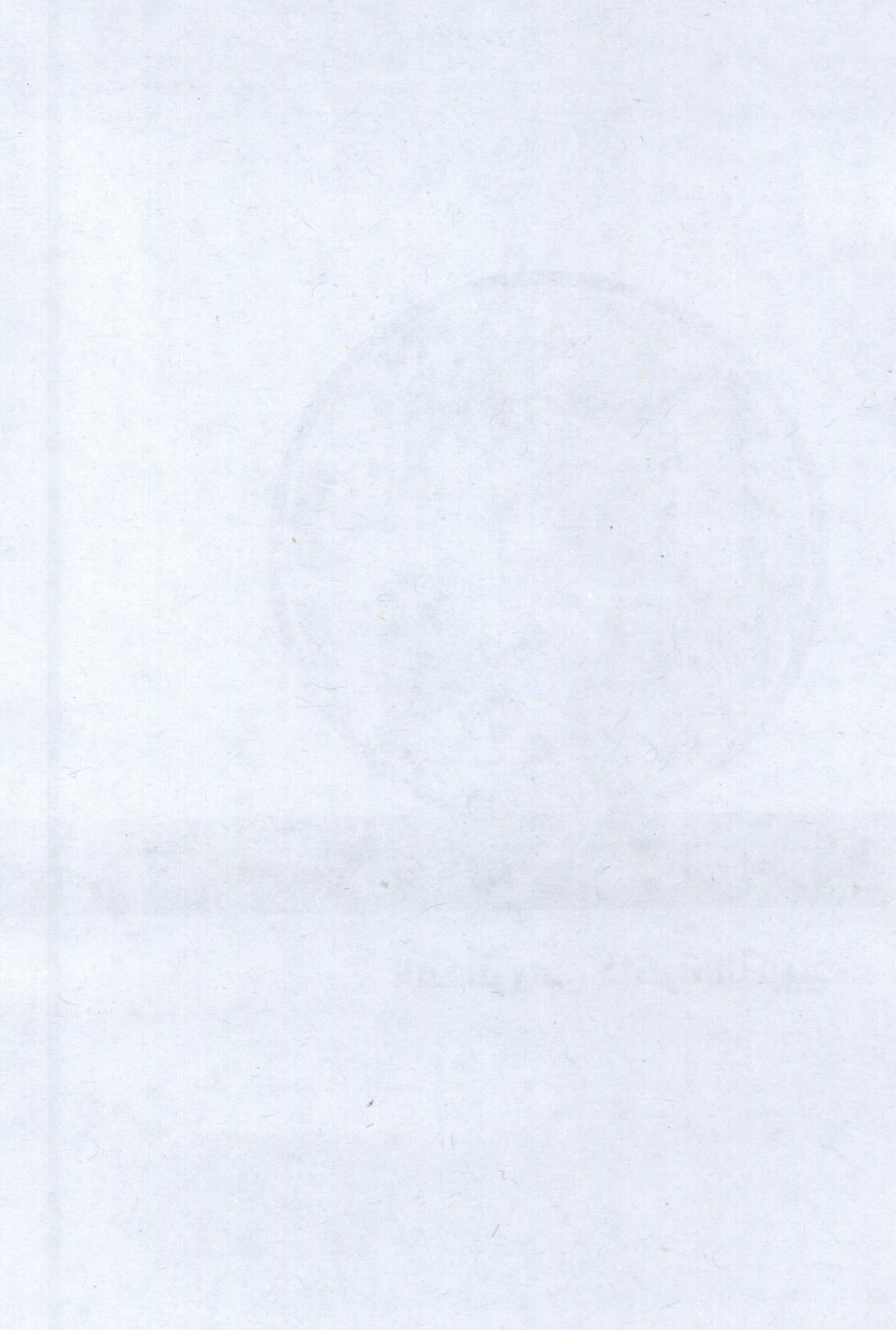
وأحاول من خلال هذه الصفحات، أن أستدعى إلى مرفأ الذاكرة «القدس العتيقة» بالكلمة والصورة، ونرصد معاً وقائع مجدها وعزها القديم من خلال باقة من أندر صور» الغرفة السوداء» .. قبل الحقبة الصهيونية السوداء، ومعها أصبحت مدينة تسكنها الأفاعى وذاكرتها تفيض دماً ودموعاً، ومخططات زعماء الصهيونية التلمودية الرهيبة لدفع مسيرة - الحية القرمزية - وإحكام إلتفافها حول العالم، بدءاً من محو إسم «فلسطين» وإستبداله بـ «قضية الشرق الأوسط» وهوما وقع فيه الخطاب السياسى العربى وإنساقت إليه جميع وسائل الإعلام العربية، مثلما إنساقت وراء نشر صورة مسجد «قبة الصخرة» تحت عنوان «الأقصى الأسير» !.. ومخططات زعمائها التوراتية لتهويد القدس العربية وتغيير معالمها بالكامل، وهوما يبدو واضحاً فى الصور الحديثة للمدينة وحجم المستوطنات الإسرائيلية التى تحيط بالحرم القدسى الشريف، دون أدنى إعتبار للتراث الإنسانى الحضارى، لم أقل لقرارات هيئة الأمم المتحدة الخاصة بالقدس !.. وسط صمت عربى وعالمى مريب !

إنها القدس الشريف، والمدينة العتيقة، التى ألهمت الأنبياء والشعراء والأدباء والرحالة والفنانين والمصورين .. وهذه الصور المختارة تثبت لحظات زمنية من تاريخ مدينتنا .. باقة متنوعة يتضوع شذاها بعطر الماضى الجميل للمدينة المقدسة .



الفصل الأول

القدس فى ذاكرة التاريخ



ظلت القدس عبر تاريخها الطويل : قبلة مقدسة ومصدر وحى ورمز لطموحات أتباع الأديان السماوية الثلاثة، وتبرز أحداثها التاريخية فى تعدد أسمائها .. وأقدم إسم لها هو «أوروشاليم» بنسبتها إلى «شالم» إله السلام عند الكنعانيين، الذين شكلوا مع الأموريين فرعين من مجموعة كبيرة تحركت فى هجرة واحدة نحوغرب الأردن وسيطروا على سواحل البحر المتوسط ثم امتد نفوذهم نحو سوريا شرقاً، وتشير المصادر التاريخية إلى أنهم أتوا مباشرة من الجزيرة العربية، وأكدت «التوراة» على التقدم الحضارى الذى وصل إليه الكنعانيون، حيث شيدوا المعابد الضخمة والقصور الشاهقة والمدن العامرة وأسسوا الحكومات المحلية، واتبعوا أساليب أرقى فى الزراعة والصناعة .. وقد كشفت الأبحاث الأثرية عن مدن كنعانية تدل على حضارة هذا الشعب العربى .

وقد وردت بإسم «روشاليموم» فى الكتابات المصرية القديمة التى يرجع تاريخها إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، وكان فراعنة مصر يحكمون فلسطين عن طريق ولاة من أهلها، بشرط دفع الجزية مع عدم التعرض لمعتقداتهم .. ومن بين رسائل» تل العمارنة : ست رسائل بعث بها والى أورشليم» عبد - خيبا» إلى فرعون مصر» امنحتب الثالث» فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، يطلب فيها زيادة عدد أفراد الحامية المصرية، محذراً من غارات البدو«الخابيرو» أو «العابيرو».. واستفحال خطرهم على البلاد .

وورد ذكر أورشليم فى التوراة أكثر من ٦٨٠ مرة وتلفظ بالعبرية «يروشالايم» وهى مشتقة من التسمية الكنعانية الأصلية .. كما ورد فى التوراة أسماء أخرى أطلقت على المدينة، وهى : شاليم، مدينة الله، مدينة القدس، مدينة العدل، مدينة السلام .. و«يبوس» و«مدينة اليبوسيين» .

القدس تحت حكم اليبوسيين :

نزح اليبوسيين - وهم من بطون العرب - مع القبائل الكنعانية حوالى سنة ٢٥٠٠ ق.م واحتلوا التلال المشرفة على موقع المدينة، وقد ورد اسم «يبوس» فى اللغة المصرية - الهيروغليفية - باسم «يابثى» و«يابتى» تحريفاً للإسم الكنعانى، وشيد اليبوسيون قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من مدينة» يبوس» الإسم الذى اطلق على أورشاليم فى عهد اليبوسيين، وسميت القلعة» حصن يبوس» أقدم بناء فى مدينة القدس، وشيدت حوله الأسوار وبرج عال للسيطرة على المنطقة المحيطة وحمايتها من غارات العبرانيين .. وقد عُرف حصن يبوس فيما بعد بحصن «صهيون» والجبل الذى أقيم عليه بـ «جبل صهيون» أوهضبة أوفل .. وقد تخير اليبوسيون هذا الموضع لتمتعه بمميزات استراتيجية، فإلى جواره شرقاً، مورد للمياه، نبع عُرف باسم «جيحون» و«نبع العذراء» بوادى قدرون، وقد شقوا نفقاً بباطن الجبل لنقل مياه النبع إلى داخل الحصن .

وبقيت المدينة بأيدى اليبوسيين خلال حكم القضاه وفى عهد الملك «شاؤول» ولم يسكنها اليهود على الإطلاق حتى استولى عليها الملك «داود» عام ١٠٠٦ ق.م .. أى أنها ظلت تحت حكم اليبوسيين نحوثلاثمائة سنة، ويشير «يوسيفوس» المؤرخ اليهودى إلى أن «يبوس» كان يسكنها اليبوسيون أصحابها، الذين تفرعوا عن الكنعانيين، ولما علموا برغبة داود الملك فى الإستيلاء على مدينتهم، أغلقوا أبوابها وشددوا الحراسة على أسوارها، فأمر داود بحصارها .. حتى استولى على الجزء الجنوبى بالقوة، وفشل فى اقتحام القلعة، فأعلن عن مكافآت للجند ووعد أول من يخترق الخنادق أسفل القلعة سيتولى قيادة الجيش، واستطاع «يوآب» أن يقتحمها .. ثم خضعت

المدينة للعبرانيين، بعد أن فشلوا فى الإستيلاء عليها فى عهد «يوشع» ..

وقد كشفت التنقيبات التى أجرتها الباحثة البريطانية «كاثلين كينيون» سنة ١٩٦١م فى «تلة أوفل» بالقدس عن بقايا السور الذى شيده اليبوسيون على جبل صهيون، وأبرزت قسماً من أساسات المبانى ومجرى المياه إلى الحصن من «عين جيحون» .

عهد مملكة داود :

لم يستطع اليهود الإستيلاء على حصن صهيون إلا فى عهد داود الذى اتخذ أورشليم عاصمة له واطلق على الحصن اسم «مدينة داود» . وكان أكثر سكان المدينة فى عهده من اليبوسيين والكنعانيين والعموريين والفلسطينيين. وقد ازدهرت المدينة فى عهد خليفته سليمان الذى شيّد الهيكل بمساعدة المعماريين الفينيقيين، كما قام بمد الأسوار شمال قلعة القدس، وتشير التوراة إلى أن سليمان قام بتشييد سور حول القدس، كما شيد قصراً على «تل أوفيل» أحاطه بأسوار قوية، وقد اكتشفت بقايا جدار جنوب شارع الملك داود عند باب الأسباط، يرجح «مودسلى» العالم البريطانى أنها جزء من سور سليمان، وقد حكم داود وسليمان معاً ٧٣ عاماً تميزت بعدم الإستقرار وكثرة الحروب مع الفلسطينيين والجيران العرب !

العصر الآشورى - البابلى :

كان أشهر حوادث ذلك العصر، ما قام به الملك «شلومنصر» الآشورى من سبى اليهود القاطنين فى المملكة الشمالية وعلى رأسهم ملكهم «يوشع» ونفيهم إلى مدينة «نينوى» بالعراق، وقام بإرسال عدة آلاف من الآشوريين للإستيطان فى شمال فلسطين .

كما قام الملك «سنحاريب» بحصار «أورشليم» عاصمة المملكة الشمالية سنة ٧١٣ ق.م ثم استرد المصريون القدس .. إلى أن حاصرها أشهر ملوك بابل» نبوخذ نصر» الثانى سنة ٥٩٣ ق.م وأسر ملكها» يهوياقيم» وكل رجاله وسباهم إلىَ بابل واستولى على خزائنه ومقتنيات الهيكل ثم أحرقه، ويشرح «التلمود» سبب الكارثة التى حلت باليهود «أنها نتيجة لتعاظم شر الإسرائيلين أمام الرب» !

ثم حاصر البابليون المدينة مرة أخرى سنة ٥٩٠ ق.م وأسروا ملكهم «صدقيا» الذى سبق أن عينه البابليون ، ودمروا المدينة وأسوارها وسبوا الآلاف من اليهود إلى بابل .. ويقرر المؤرخون أنه عقب «السبى البابلى» انتهى الوجود اليهودى فى فلسطين نهائياً .. كما لم نجد لهم ذكر فى كتابات المؤرخين المعاصرين لتلك العصور .. وتشير بعض المصادر إلى أن «سليمان» بكل المجد الذى أضفته عليه الأساطير اليهودية «لم يكن فى الواقع إلا ملكاً صغيراً يحكم مدينة صغيرة» !

عصر الإمبراطورية الفارسية :

بفضل براعة» الجواسيس اليهود» تغلب الفرس على البابليين، وقام القائد الفارسى «قورش» بإعادة اليهود عقب فتح المدينة سنة ٥٢٦ ق.م بعد أن قضوا فى السبى سبعين عاماً، كما نزح إليها كثيرمن العرب، وأعيد بناء ما تهدم من سور المدينة، إلا أنها ظلت فى حالة يرثى لها .. وانتشر الزواج المختلط كما سادت اللغة الآرامية حتى أصبحت اللغة الرسمية، ولم تكن الأوضاع الأمنية مستقرة، وظلت البلاد عامة تحت الحكم الفارسى إلى أن فتحها «الإسكندر» المقدونى عام ٣٣٢ ق.م . وتأرجحت السيطرة على المدينة فى عهد خلفائه بين البطالمة والسلوقيين . وقد

تأثر السكان فى هذا العهد الهلينستى بالحضارة الإغريقية، وقام الملك السلوقى أنطيوخوس الرابع حوالى سنة ١٦٥ ق.م بتدمير الهيكل وأرغم اليهود على اعتناق الوثنية اليونانية . وكانت نتيجة ذلك ان اندلعت ثورة المكابيين ونجح اليهود فى نيل الإستقلال بأورشليم تحت حكم الحاسمونيين من سنة ١٣٥ ق.م حتى سنة ٧٦ ق.م .

العصر الرومانى :

فتح القائد الرومانى الشهير «بومبى» مدينة أورشليم عام ٦٣ ق.م وكان أول ولاة المدينة هو «اسكورس» الذى ثار عليه اليهود بعد فترة، فألغى مجمعهم وهدم السور، وفى عهد يوليوس قيصر تعاقب عليها عدد من الولاة الخاضعين لروما، حتى تولاها «هيرودس» الأدومى سنة ٣٧ ق.م الذى حكم لمدة ثلاثة وعشرين عاماً وفى آخر سنة من حكمه ولد السيد المسيح فى ٢٥ ديسمبر سنة ٧٤٩ لتأسيس روما، فى مدينة بيت لحم، وشيد هيرودس المسارح والحمامات الرومانية وأقام عدة مبانى على الطراز الرومانى وأعاد بناء سور المدينة، كما شيد لنفسه قصراً على جبل صهيون وأقام قلعة كانت مقراً للحكم ... وعجز أولاد هيرودس عن إدارة المدينة المقدسة بسبب الطبيعة العدوانية لليهود ... حتى أقيمت محكمة لليهود تطبق القوانين الرومانية ... وفى عهد الوالى «بيلاطس» تم صلب «المسيح» بعد أن أعلن خراب أورشليم وتشتت اليهود فى العالم كله، جزاء ما اقترفوا من سيئات فى حقه ورفضهم قبول دعوته .. وهوما تحقق فعلاً سنة ٧٠م عندما قام القائد» تيتوس» باحتلال المدينة وحرق الهيكل وفتك باليهود، وعندما ثار اليهود بقيادة» باركوخبا» سنة ١٣٢م قام الإمبراطور «هادريان» باخماد ثورتهم ودمر المدينة وشيد مكانها

مستعمرة رومانية يحرم على اليهود دخولها، أطلق عليها «إيليا كابيتولينا» ولما اعتنق الإمبراطور «قسطنطين» المسيحية سنة ٣١٣م واعتمادها ديانة رسمية أعاد إلى المدينة إسمها «أورشليم» حيث قامت والدته «هيلانه» سنة ٣٢٦م بزيارتها وتشييد عدة كنائس فوق المغارة وفوق القبر المقدس والجلجثة، وباشرت بنفسها عملية البحث عن خشبة صلب المسيح .

فتح العرب للقدس :

حاصر الجيش العربى «ايلياء» بخمسة وثلاثين ألفاً من الأجناد، بقيادة : أبوعبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد .. اللذين لم يشاءا فتحها عنوة نظراً للمكانة السامية التى احتلتها المدينة فى الدعوة الإسلامية، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية، كما كانت قبلة المسلمين الأولى، وإليها كان إسراء النبى - صلى الله عليه وسلم - ومنها كان معراجه إلى السماء، وقد طلب أبوعبيدة بن الجراح من أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» أن يأتى إلى القدس .. حيث أن سكانها يأبون تسليمها إلا بحضوره بصفة شخصية !

البطريرك يطلب إبعاد اليهود عن القدس !

ذهب عمر إلى بيت المقدس سنة ١٥هـ/٦٣٦م وأعطى الأمان لأهلها وتعهد لهم بأن تصان أرواحهم وأموالهم وكنائسهم وبألا يسمح لليهود بالعيش بينهم . ورفض أن يصلى فى كنيسة القيامة لئلا تتخذ صلاته سابقة لمن يأتى بعده . وذهب إلى موقع المسجد الأقصى فأزال بيده ما كان على الصخرة من أقذار وبنى مسجداً فى الزاوية الجنوبية من ساحة الحرم، وكتب الخليفة عمر للبطريرك صفرونيوس» العهدة العمرية» المحفوظة بالبطريركية اليونانية الأرثوذكسية بالقدس، تضمنت

الحفاظ على أمن المسيحيين وعقائدهم وممتلكاتهم، وقد أشار «الطبرى» فى تاريخه إلى نص كتاب عمر، مضافاً إليه تحفظاً هاماً من البطريرك بضرورة إبعاد اليهود عن القدس وعدم السماح لهم بالبقاء فيها «بسبب أعمالهم الشريرة ضد المسيحيين» !

وقد وفد مع عمر بن الخطاب، وبعده، إلى القدس عدد كبير من الصحابة والتابعين وأخذ العنصر العربى ينموويننتشر بسرعة وعاد إلى المدينة طابعها العربى . وتميّز الحكم العربى الإسلامى بالتسامح الدينى، واحتفظ المسيحيون بكنائسهم وبحرية أداء شعائرهم الدينية، وكان الخليفة عمر قد أمر بإنشاء الدواوين الحكومية وأعد نظاماً للإصلاح والإدارة فى الجوانب السياسية والإقتصادية والعمرانية، ورتب شئون البريد والشرطة والقضاء، وأسس دار الحسبة للإشراف على المكاييل والموازين وتنظيف الشوارع والحارات والإهتمام بأسواق المدينة .. وشدد على رجاله أن يسيروا فى الناس بالعدل .

عصر الدولة الأموية :

عندما خضعت القدس لحكم الخليفة الأموى «معاوية بن أبى سفيان» سنة ٦٤١م اختارها مكاناً لمبايعته خليفة للمسلمين، نظراً لأهميتها ومكانتها الدينية والتاريخية .. وعين لها «سلام بن قيصر» والياً، الذى أقام فى محل قصر هيرودس ! .. وقد شهدت القدس فى عهد معاوية نوعًا من الإزدهار، حيث قام بترميم وتجديد أسوارها، واعتنى ببساتين الكروم والزيتون .. وعادت القدس مقصداً للتجارة والزيارة.

وكان أبرز إنجازات عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٢٥ – ٨٦ هـ/٦٤٦ – ٧٠٥ م) فيما يخص القدس، بناء قبة الصخرة المشرفة

والمسجد الأقصى وهما من أعظم آثار الأمويين فى فلسطين . ويعد مسجد قبة الصخرة فى القدس أول مسجد بُنى فى بلاد الشام، إذ كان المسلمون يقيمون الصلاة فى مساجد بسيطة . وقد بُنى مسجد قبة الصخرة سنة ٧٢هـ/٦٩١م . ولا صحة للروايات التى تشير إلى أن الخليفة عبد الملك أراد أن يصرف الناس عن الكعبة لكى لا يتأثروا بدعايات ابن الزبير.

أما المسجد الأقصى فهوبالقرب من مسجد قبة الصخرة، وأوسع منه بكثير . وقد اهتم عبد الملك بن مروان ببناء هذين المسجدين، وصرف أموالاً كثيرة لزخرفتهما، وجلب المهندسين والمعماريين من أنحاء مختلفة للإستعانة بخبرتهم . واهتم خلفاء بنى أمية بهما من حيث الترميم والتجديد والتزيين . وعبّد عبد الملك بن مروان الطرق الرئيسة بين الشام والقدس من أجل تسهيل سبل الزيارة لهذين المسجدين .

ولما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة، اهتم بالقدس، وتقبل بيعة الناس فى مسجد قبة الصخرة . وفى رواية عن ابن أبى عيلة أن الخليفة الوليد كان يعطيه قصاع الفضة ويقسّمها على فقراء بيت المقدس .

واهتم سليمان بن عبد الملك بالقدس أيضاً، فبعد أن أتته «بيعة الأجناد» وهوفى البلقاء سنة ٩٦هـ/٧١٤م جاء بيت المقدس، فأتته الوفود بالبيعة، فلم يرد وفادة كانت أهنأ من الوفادة إليه ... فكان يجلس فى قبة فى صحن بيت المقدس مما يلى الصخرة ... ويبسط البسط، عليها النمارق والكراسى والوسائد . وإلى جانبه الأموال وكتّاب الدواوين . وقد همّ بالإقامة فى بيت المقدس، واتخاذها منزلاً، وجمع الأموال والناس فيها، وقد كان للقدس منزلة خاصة لديه، ويُذكر أنه هوالذى شيد مدينة «الرملة» عندما كان والياً .

عصر الدولة العباسية :

واصل خلفاء الدولة العباسية اهتمامهم بمدينة القدس والإفادة من مركزها الدينى، وقد قام بعضهم بزيارة المدينة المقدسة : فزارها المنصور مرتين سنة ١٤٠هـ/٧٥٨م وسنة ١٥٥هـ/٧٧١م، كما زارها المهدى سنة ١٦٣هـ/٧٨٠م، والمأمون سنة ٢١٥هـ عندما أمر بإضافة إسمه على فسيفساء قبة الصخرة .

وقام الخلفاء العباسيون بترميم وتجديد المسجد الأقصى عدة مرات، نتيجة الزلازل، حيث قام المنصور بتجديده بعد أن باع الرقائق الذهبية التى كانت تغشى أبوابه، ثم أعاد المهدى بناءه عقب حدوث زلزال، وعندما حدث زلزال ثالث، أمر الخليفة المأمون بتكليف أمراء الأطراف والقواد بإعادة بنائه، واشرف على هذه العمارة قائده «عبد الله بن طاهر» سنة ٢١١هـ .

وفى العصر العباسى، وصف الرحالة «برنارد الحكيم» القدس وما حولها فكتب : «إن المسلمين والمسيحيين يعيشون فيها فى تفاهم تام ولأمن العام مستقر» .

عصر الدولتين الطولونية والأخشيدية :

دخلت القدس وفلسطين تحت حكم الدولة الطولونية خلال السنوات ٢٦٥ - ٢٩٢هـ/٨٧٨ - ٩٠٥م، وقد شهدت القدس بعض الإضطرابات بين أصحاب الملل، وفقدت أهميتها السياسية فى ذلك العهد، وإن ظلت مقصداً لزيارة الحجاج المسيحيين .

ثم حكم الإخشيديون خلال السنوات ٣٢٧ - ٣٥٩هـ/٩٣٩ - ٩٦٩م وتناقص عدد سكان القدس، وأصبحت الرملة عاصمة لفلسطين، وفى عهد

«كافور» ٩٦٠ - ٩٦٦م قام اليهود بنهب كنيسة صهيون وأحرقوا جزءاً من كنيسة القيامة مما أدى إلى سقوط قبتها .. وقد احتفظت القدس بمكانتها الدينية لدى الحكام الإخشيديين حتى أنهم أوصوا بأن يدفنوا فيها !

عصر الدولة الفاطمية :

عندما فتح الفاطميون القدس سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م قام الخليفة المعز لدين الله بتعيين «أبواليمن قزمان بن منيا» القبطى والياً على المدينة المقدسة .. وفى عهد «الحاكم بأمر الله» وبالتحديد سنة ١٠١١م انتشرت شائعة بأن القيامة ستقوم فى يوم محدد وتوافد على المدينة الجموع الغفيرة من الأوربيين الذين رغبوا فى الموت بجوار «قبر المسيح» .. ومضى ذلك اليوم دون أن يحدث شىء .. فكان أن غضب الحاكم بأمر الله .. وبتحريض من اليهود قام بحملة اضطهاد ضد المسيحيين، فطرد الأجانب منهم خارج المدينة، وهدم كنيسة القيامة .. وبتدخل من والدته «ماريا» وأخته «ست الملك» تراجع الحاكم عن مواصلة حملته، وامر بإعادة إعمار الكنائس ورد أملاك الأديرة .. وقد أحسن معاملة المسيحيين هووالخلفاء الفاطميون من بعده، وقد شهد عهد الخليفة الظاهر عقد صلح مع القيصر البيزنطى «رومانوس الثالث» تم بمقتضاه ترميم عدد من الكنائس، ولم يكد ينتهى من ترميم كنيسة القيامة حتى أصابها زلزال عام ١٠٣٤م فانهارت، وظلت كذلك حتى تبرع القيصر «مونوماخوس» بإعادة بنائها، وكان الزلزال قد أصاب أيضاً قبة الصخرة ، حيث أمر الخليفة الظاهر بترميمها .. وكان الخليفة الحاكم قد شيد داراً للعلم لنشر الدعوة الفاطمية و«بيمارستان» كان العلاج فيه مجاناً، وانتشرت بعض الصناعات اليدوية التى كان لها أسواق خاصة .. وقد أشار «ناصر خسرو» عام ١٠٤٧م إلى إزدهار الحياة الدينية الإسلامية والمسيحية فى القدس .

مملكة بيت المقدس اللاتينية :

تجدر بداية الإشارة إلى شهادة المؤرخ الكبير «جيبون» عن المعاملة الطيبة التى شملت المسيحيين خلال الحكم العربى منذ فتح مدينة القدس حتى إستيلاء الصليبيين عليها، كما أكد على عدالة العرب وتوفيقهم فى حسم الخلافات بين المسيحيين بشأن الأماكن المقدسة .

وقد توج «الفرنجة» فتوحاتهم فى بلاد الشام باحتلال القدس فى يوم الجمعة ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ/ ١٥ يوليو١٠٩٩م، واحتفلوا بانتصارهم بارتكاب مذبحة رهيبة خصوصاً فى منطقة الحرم الشريف . وذكر أن عدد ضحاياهم بلغ سبعين ألفاً، الأمر الذى يتناقض تناقضاً صارخاً مع تسامح عمر بن الخطاب عندما دخل المدينة . ونهب الصليبيون ما كان فى الصخرة والأقصى من كنوز ووضعوا صليباً على قبة الصخرة وحولوا الأقصى إلى مقر لفرسان «الدورية» وجعلوا القدس عاصمة لملكتهم اللاتينية ونصّبوا بطريركاً لاتينياً للمدينة بدلاً من البطريرك الأرثوذكسى . وأقام الفرنجة عدداً من المبانى الدينية الجديدة وعمّروا كنيسة القيامة وكنيسة القديسة حنة وغيرهما، وأقاموا نزلاً يتسع لألف شخص من الحجاج المسيحيين القادمين من الخارج .

وكان الفرنجة قد فقدوا زعيمهم الروحى «أدهمار» المندوب البابوى قبل وصولهم القدس، وكان من الممكن أن يتولى «أدهمار» دولة دينية كنسية، ولكن فكرة إقامة حكومة دينية فى القدس استبعدت وتم الإتفاق على اختيار رئيس «علمانى» لها هوالأمير غودفرى دى بويون (جوفرى أوجفرى عند المؤرخين العرب) . ففرض غودفرى أولا ولكنهم أجبروه على القبول فى ٢٩ شعبان ٤٩٢هـ/ ٢٢ تموز ١٠٩٩م . ولم يقبل غودفرى

حمل لقب ملك بيت المقدس بل اكتفى بلقب» حامى القبر المقدس، اوحامى بيت المقدس» . وهذا يعنى أن الدولة الجديدة ليست لها صفة سياسية بحتة، بل إنها جعلت للكنيسة حق الإشراف عليها . وبقيت هذه الحال حتى وفاة غودفرى فى ٢٤ رمضان ٤٩٣هـ/١٨ تموز ١١٠٠م . ولم يلبث أن غلفت شخصيته أسطورة تنسب إليه دوراً حاسماً فى تأسيس المملكة اللاتينية فى الشرق !

كانت مقاومة الوجود الفرنجى فى فلسطين شديدة وقد اتصفت سياسة الفرنج تجاه سكان فلسطين العرب بالإرهاب وبلغت المقاومة العربية أوجها عندما سيطرت على الطريق الواقع بين الرملة وبيت المقدس . وقد عبّر المؤرخ اللاتينى وليم الصورى عن هذه المقاومة الشعبية قائلاً :«كانت البلاد مليئة بالعصابات، ومن جرّاء ذلك اصبح الطريق بين الرملة والقدس محفوفاً بالمخاطر . وقد هاجم بغدوين الأول سكان المناطق المجاورة للقدس والرملة وعاقبهم دون رحمة» . وبقيت المقاومة الشعبية متأججة فى فلسطين . فسكان القرى الفلسطينية الذين أطلق عليهم وليم الصورى اسم «المستوطنين القرويين» كانوا يعبّرون خير تعبير عن مقاومة المحتل المغتصب ورفض الوجود الفرنجى فى بلادهم . فقد انضم هؤلاء إلى كتائب المسلمين فى بلاد الشام وكانوا على صلات قوية بهم يساعدونهم ويعملون أدلاء لقواتهم عندما تدخل فلسطين .

وبعد أن أحكم الفرنج السيطرة على فلسطين وجنوب شرقى الأردن بدأوا ينظمون أمورهم الداخلية . وكانت المشكلة السكانية (الديموغرافية) هى المعضلة الأولى . فالفرنج كانوا قلة لأن عدداً منهم عاد إلى بلاده بعد احتلال بيت المقدس على حين فضل قسم منهم البقاء

فى فلسطين . وهؤلاء هم ملاك الأراضى والإقطاعيون والمحاربون . واما أهالى فلسطين العرب فقد هجروا قراهم الساحلية واتجهوا إلى المناطق الداخلية الجبلية أوغادروا فلسطين إلى منطقة شرقى الأردن اودمشق . وأدى ذلك إلى تعطيل الزراعة فى الساحل . وقد أفرغ الفرنجة المدن الساحلية من سكانها العرب كما حدث فى صيدا وصور وعكا وحيفا ويافا وأرسوف وقيسارية وغيرها . وفى القدس قتلوا معظم السكان العرب، حتى ان وليم الصورى قال : «فالوثنيون (المسلمون) الذين كانوا يعيشون فى المدينة فى ذلك الوقت قتلوا حتى آخر رجل، وإن هرب شخص ونجا لم يسمح له بالبقاء فى المدينة، إذ أن السماح لشخص غيرمسيحى بالسكنى فى تلك المدينة يعنى تدنيس المقدسات» !، ثم يستطرد قائلاً : «إن المواطنين فى القدس كانوا قليلى العدد حتى إنهم، بصعوبة، يملأون شارعاً واحداً» ! إزاء هذه المعضلة السكانية فى مملكة القدس، وعلى الأخص فى بيت المقدس والساحل، عمل الفرنج على تشجيع الهجرة إلى فلسطين من المناطق المجاورة، ولا سيما إلى القدس . فهجّروا سكان وادى موسى النصارى إلى القدس بالترهيب والترغيب، كما شجعوا هجرة النصارى من عمان والصلت والبلقاء إلى القدس وأسكنوهم فى حى خاص أطلق عليه حى الشارقة .

تعاقب على عرش مملكة اللاتين كل من بغدوين الثانى (ت ٥٢٤هـ/١١٣١م)، وفولك الأنجوى (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م) الذى أكمل سوار التحصينات حول مملكة القدس وتوسع فى منطقة مآب فأعاد بناء قلعة الكرك (٥٣٧هـ/١١٤٣م) ونقل إليها مركز البارونية من الشوبك . وبعد وفاته تسلم عرش المملكة ابنه بغدوين الثالث . وفى عهده بدأت

اليقظة العربية الإسلامية بظهور عماد الدين زنكى الذى تمكن من تحقيق انتصارات على الفرنج فى الشمال تُوّجت بضربة حكيمة سددها إلى إمارة الرها (أول إمارة صليبية أُسست فى الشرق العربى) التى كانت تقف حاجزاً يمنع أى اتصال بين حلب والموصل ويتهدد بغداد دار الخلافة . فاقتحمتها قواته فى جمادى الأولى ٥٣٩هـ/ تشرين الثانى ١١٤٤م .

وكان لفتح الرها أصداء هامة فى كل من المعسكرين الإسلامى والفرنجى . ويصف ابن الأثير أبعاد هذه المعركة ونتائجها فيقول : «وأشبهها ببدر صدقا، من شهدها فقد تمسك من الجهاد بأوثق سبب» . وبفتح الرها تغيرت نظرة العرب والمسلمين إلى الفرنج، فانحلت عقدة الخوف لديهم وانتهت أسطورة القوة التى طالما تشدق بها الفرنج بالإضافة إلى أن هذا الإنتصار بث فيهم روح الجهاد والتضحية والنضال فتحول العرب والمسلمون من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم مدفوعين إلى ذلك بالدعوة إلى الجهاد . ومال ميزان القوى فى بلاد الشام إلى صالحهم فانطلق عماد الدين زنكى يهاجم القلاع والحصون الإفرنجية فى الشام، ثم عمل على توحيد الجبهة العربية الإسلامية .

عصر الدولة الأيوبية :

لم يبق حكم الصليبيين فى القدس أكثر من ٨٨ سنة، فانهارت مملكتهم. وقد حلت بهم الضربة القاسمة فى معركة «حطين» ٥٨٣هـ/١١٨٧م . وبعدها دخل صلاح الدين الأيوبى القدس صلحاً وسمح للفرنجة بمغادرتها بعد دفع جزية بسيطة عن كل شخص . وامتازت معاملة صلاح الدين بالإنسانية فأعفى كثيرين من دفع الجزية وسمح للمسيحيين الشرقيين بالبقاء فى المدينة .

أزال صلاح الدين الصليب عن قبة الصخرة ووضع فيها المصاحف وعيّن لها الأئمة ووضع فى المسجد الأقصى المنبر الذى كان قد أمر نور الدين محمود بن زنكى بصنعه ودشن إنشاءات إسلامية كثيرة فى القدس أهمها مدرسة للشافعية (الصلاحية) وخانقاه للصوفية ومستشفى كبير (البيمارستان) . وأشرف بنفسه على تلك الإنشاءات، بل شارك بيده فى بناء سور القدس وتحصينه، وعقد فى المدينة مجالس العلم .

تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل الذى وقف المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقى من الحرم على المغاربة حماية لمنطقة البراق المقدسة وأنشأ فيها مدرسة . وممن حكم القدس من الأيوبيين بعد الأفضل الملك عيسى بن أحمد بن أيوب الذى أجرى تعميرات فى كل من المسجد الأقصى والصخرة وأنشأ ثلاث مدارس للحنفية (وكان الحنفى الوحيد من الأسرة الأيوبية) . ولكنه عاد فدمر أسوار القدس خوفاً من استيلاء الصليبيين عليها وخرب المدينة فاضطر أهلها إلى هجرها فى أسوأ الظروف . وتلاه بعد فترة وجيزة أخوه الملك الكامل الذى عقد اتفاقاً مع الإمبراطور فريدريك الثانى ملك الفرنجة سلّمه بموجبه القدس ما عدا الحرم الشريف . وسلّمت المدينة وسط مظاهر الحزن والسخط والإستنكار سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م . وبقيت فى أيديهم حتى ٦٣٧هـ/١٢٣٩م عندما استردها الملك الناصر داود ابن أخى الكامل . ولكن الناصر ما لبث أن سلّمها مرة أخرى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م . ثم عادت إلى الإسلام سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م عندما استردها الخوارزمية للملك نجم الدين أيوب ملك مصر .

عصر سلاطين المماليك :

ظلت القدس تحت السيادة المملوكية منذ عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م حتى عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م وقد حظيت المدينة باهتمام سلاطين المماليك، الذين حرصوا على رعاية وتجديد المقدسات الإسلامية بها، وخفضوا الضرائب المفروضة على المدينة، كما أوقف بعضهم المصاحف على مساجدها، ونجد السلطان الظاهر بيبرس يأمر بترميم المسجد الأقصى كما أسس عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م «خانا» فى شمال غربى القدس مع النص على رعاية الفقراء وسد عوزهم . كذلك نجد السلطان «المنصور قلاوون» (٦٧٨ - ٦٨٩م) يجدد سطح الجزء الجنوبى الغربى من سقف المسجد الأقصى بجوار مسجد النساء، كما وضع السلطان المنصور لاجين (٦٩٦ - ٦٩٨م) محراب الملك الناصر داود بجوار الحائط الجنوبى للمسجد الأقصى. وعندما تولى السلطان الناصر محمد الحكم للمرة الثالثة (٧٠٩ - ٧٤١هـ/١٣٠٩ - ١٣٤٠م) غطى الجزء الخلفى للمسجد الأقصى بلوحات رخامية وفتح نافذتين يميناً ويساراً للمحراب كما رمم العقود فى الجهة الشمالية للقسم المرتفع من الحرم الشريف وبوابة الغزالين كما ذهّب قباب المكانين المقدسين فى الحرم الشريف وقد برع الصناع فى فنهم حتى بدت هذه الصناعة فى عهد مجير الدين أى بعد حوالى مائة وثمانين عاماً كما لو أنها حديثة الصنع . كذلك الكتابة الموجودة على قبة الصخرة تذكر هذا التذهيب وتجديد «السق» المصنوع من الرصاص .

وفى عصر هذا السلطان أيضاً أعيد تجديد وإصلاح المجرى المائى الممتد بين بحيرة السلطان والمدينة . وفى عام ٨٥١هـ/١٤٤٧ - ١٤٤٨م احرق البرق والصواعق سقف قبة الصخرة فأتلف جزءاً منه فأصدر

السلطان «جقمق» (٨٤٢ - ٨٥٧هـ) أمراً بإصلاحه كما أمر بإتلاف كل الذى استحدث فى دير صهيون وكنيسة القبر، وانتزع من الرهبان قبر داود والموضع الذى يُقال أنه فيه «هبط الروح القدس» كما أمر بهدم بعض المبانى وتنظيم الطريق المؤدى إلى المسجد الأقصى .

أما السلطان «الأشرف قايتباى» (٨٧٣ - ٩٠١هـ/١٤٦٨ - ١٤٩٥م) فقد كان شديد الإهتمام والحرص على الأماكن المقدسة الإسلامية لذلك أمر بإعادة بناء وتوسيع بناء العين بين الجزء المرتفع من الحرم الشريف وحائطه الغربى والممتد من المدرسة التى تحمل إسمه عند باب السلسلة للمسجد الأقصى . كما أصلح كثيراً من قنوات المياه التى تمد القدس بالمياه.

وتجدر الإشارة إلى حرص معظم سلاطين المماليك على زيارة المدينة المقدسة، اكثر من مرة، ومنهم : الظاهر بيبرس البندقدارى، وسيف الدين قلاوون والناصر محمد بن قلاوون، والسلطان الأشرف قايتباى، وشيدوا بها عدداً من المنشآت الدينية والمدنية، كانت آيات فى فن العمارة، وبلغت فى مجموعها نحوخمسين مدرسة وسبعة ربط وعشرات الزوايا وعدد من الأسبلة .

وفى سنة ٧٧٧هـ جعلوا القدس نيابة مستقلة تابعة للسلطان فى القاهرة مباشرة بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق . ومن آثار المماليك فى القدس أنهم سحبوا المياه من عين العروب إلى الحرم الشريف . ومن أشهر المدارس التى أنشأوها المدرسة السلطانية الأشرفية والمدرسة التنكزية .

وغدت القدس زمن المماليك مركزاً من أهم المراكز العلمية فى العالم الإسلامى كله فكان يفد إليها الدارسون والمدرسون من مختلف الأقطار . وقد اكتشفت فى الحرم القدسى سنة ١٩٧٤م وبعده وثائق مملوكية تلقى المزيد من الضوء على تاريخ المدينة .

أما موارد المدينة الإقتصادية فى هذا العهد فكان أهمها الأوقاف التى وقفها المحسنون والأمراء والسلاطين عليها وعلى المنشآت التى أقاموها. وكان بعض هذه الأوقاف فى سورية وتركيا ومصر من مصادر رزق الحجاج سكان القدس لا سيما الحجاج المسيحيين.

عصر الإمبراطورية العثمانية:

كانت معركة «مرج دابق» ٩٢٢هـ/١٥١٦م إيذاناً بنهاية عصر بأكمله، وبداية عصر جديد: عصر الإمبراطورية العثمانية .. وفى العام التالى، كان الفتح العثمانى لمدينة القدس.

وقد اشتهر السلطان «سليمان القانونى» الذى تولى الحكم سنة ٩٢٧هـ/١٥٢٠م خلفاً لوالده السلطان سليم الأول، باهتمامه خاصة بالقدس الشريف، إلى جانب فتوحاته، وشيد فيها عدة منشآت هامة، منها سور القدس الذى استغرق بناؤه خمس سنوات، وتكية خاصكى سلطان، وتجديد عدد من المساجد والأسبلة، وتجديد قبة الصخرة وكسوتها بالقيشانى الفاخر المتعدد الألوان، وترميم داخل المسجد بالرخام وتدعيم الشبابيك بالزجاج الملون المعشق.

وفى عصر سليمان القانونى أيضاً وقع بالبلاد زلزال عام ١٥٤٥م فأطاح بقبة برج كان مخصصاً لجرس «كنيسة القبر» وفى عام ١٥٥٥م وقعت انقسامات شديدة بين أبناء الطوائف المسيحية المختلفة حول هذه الكنيسة وحراستها وقد أدت هذه الإنقسامات إلى تأخير بناء قبة الكنيسة وبرج الجرس وظلت الحال كذلك حتى عام ١٧١٩م إذ التزم القائمون على الكنيسة بتنفيذ التعليمات التركية والقاضية بوجوب المحافظة على الرسم القديم للكنيسة.

وقد انتشرت زمن العثمانيين فى القدس التكايا والزوايا ومؤسسات الصوفية الأخرى. ولكن بدءاً من القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى أخذت مدارس القدس التى أنشأها المماليك والأيوبيون تضمحل بسبب اضمحلال العقارات الموقوفة عليها . وقد وصلت حالة الشعب العلمية فى هذا القرن إلى أدنى مستوى على الرغم من ظهور عدد من علماء الدين البارزين .

وفى سنة ١٨٣١ - ١٨٤٠م كانت القدس تحت حكم إبراهيم باشا بن محمد على باشا حاكم مصر الذى احتل سورية كلها إثر خلاف نشب مع الدولة العثمانية . وقد شهدت فترة الحكم المصرى شيئاً من تحديث الإدارة ونشر روح التسامح، ولكن فرض التجنيد الإجبارى والضرائب الكثيرة وجمع السلاح من الأهالى وإزالة نفوذ المشايخ والعائلات الإقطاعية أدت إلى ثورة ضد هذا الحكم دعمتها الدولة العثمانية واستطاع المصريون اخمادها بصعوبة . ولكن إبراهيم باشا اضطر إلى ترك البلاد سنة ١٨٤٠م تحت ضغط الدول العظمى .

ولما عاد العثمانيون إلى الحكم فى بلاد الشام عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م أرجعوا تقسيماتهم الإدارية، وربطوا لواء القدس بإيالة صيدا. ولم يكن الوضع الإدارى فى بلاد الشام مستقراً فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فكثرت التغيرات فيه، لكن لواء القدس باقضيته السبعة ظل تابعاً لإيالة صيدا، كذلك لواء عكا بأقضيته الأحد عشر، ولواء البلقاء (نابلس) الذى استحدث عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م وكان يتبعه تسعة أقضية.

أصدرت الدولة العثمانية فى عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م نظام إدارة الولايات الجديد . وقد قسّمت البلاد العثمانية بموجبه إلى ثلاثين

ولاية، تتألف كل واحدة منها من ألوية يترأسها قائمقامون، وتتألف الأقضية من نواح يترأسها مديرونواح .

وكان على رأس كل لواء من الألوية الثلاثة فى فلسطين متصرف يدير شؤونه، ويشرف على تنفيذ أوامر الدولة، ويتولى أوامر الشرطة، وله حق تعيين مواعيد اجتماع مجالس النواحى والأقضية، والتفتيش فى جميع أنحاء المتصرفية .

وفى كل لواء» مكتوبجى» يحرر المعاملات الإدارية ويحافظ على القيود الرسمية، وينشر أوامر الحكومة . وكان إلى جانبه فى الجهاز الإدارى للواء مدير للمعارف، ومدير للأمور الأجنبية، ومدير للزراعة والتجارة ومحاسب، ومدير للأوقاف، ومدير لقوة الأمن، ومدير للنافعة مسؤول عن الطرق والمعابر، ومدير للدفتر الخاقانى (الطابو) وقد حرصت الدولة على ان تتوفر فى موظفى «الطابو» العفة والإستقامة، لكن عددًا منهم فتنتهم الرشاوى التى كانت تغدقها عليهم الجهات الصهيونية فى فلسطين فتصرفوا بالإراضى، ونقلوا الملكية، وباعوا بيوعاً غير قانونية . لذلك كثيراً ما كان بعضهم ينقل، أويعزل ويحاكم !

أما الجهاز الإدارى فى القضاء فقد تألف من القائمقام، ومدير المال، ومن موظفين من مختلف الإختصاصات . وتألف فى الناحية من مدير الناحية وفى القرية من المختار .

وكان لكل متصرفية «مجلس إدارة المتصرفية» الذى ضم بالإضافة إلى المتصرف والمديرين المسؤولين فى المتصرفية عضوين منتخبين من المسلمين، وعضواً منتخباً من كل طائفة من الطوائف الأربع الأرثوذكس واللاتين والأرمن واليهود . ومهمة هذا المجلس تنظيم مختلف أمور المتصرفية

واتخاذ القرارات بشأنها والنظر فى كل ما له صلة بالإدارة المحلية . وكان مجلس إدارة متصرفية القدس يسمى «مجلس القدس الكبير» .

ولكل قضاء «مجلس إدارة القضاء» ، ولكل ناحية» مجلس إدارة الناحية» وفى القرية «مجلس اختيارية القرية» .

أولت الدولة العثمانية لواء القدس اهتماماً خاصاً بعد أن رأت كثرة أعداد الزائرين الأجانب للقدس، ولمست اهتمام الدول الأجنبية بالمدينة وتدخلهم فى شؤونها وفصلته عن ولاية سورية، وأعلنته متصرفية مستقلة باسم «قدس شريف متصرفلغى إدارة مستقلة» فى عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م .

وقد حافظت متصرفية القدس على وحدتها الإدارية حتى نهاية العهد العثمانى، فيما عدا السنوات التى ألحق بها قضاء الناصرة بعد فصله عن لواء عكا (١٣٢٥ - ١٣٢٨هـ/١٩٠٦ - ١٩٠٩م) . وضمّت المتصرفية أقضية القدس ويافا وغزة والخليل . وفى عام ١٣٢٨هـ/١٩٠٩م أنشئ قضاء بير السبع، وكان من قبل جزءاً من قضاء غزة .

وكان متصرف القدس ذا نفوذ فى لواء نابلس، على الرغم من انفصال هذا اللواء إدارياً عن القدس وإلحاقه بوالى صيدا أوبوالى الشام . حتى إن الحكومة المركزية ألحقت لواء نابلس بمتصرفية القدس أكثر من مرة . ويعود ذلك إلى قوة مركز ورتبة متصرف القدس الذى كان فى الغالب من الموظفين الأتراك .

مارس متصرف القدس سلطات الوالى فى جميع الأمور، وكان يرفع الأوراق المتعلقة بقضايا المتصرفة إلى الباب العالى فى استانبول مباشرة،

فى حين كان متصرفا لواءى نابلس وعكا تابعين لولاية سورية ثم لولاية بيروت . وكان متصرفوالقدس أيام «السلطان عبد الحميد» من الموظفين الكبار فى قصر يلدز حتى يمكن للسلطان الإعتماد عليهم فى مواجهة تيار الهجرة الصهيونية المتدفق إلى فلسطين آنذاك، وفى مواجهة الضغوط الأجنبية المختلفة !

عصر الإنتداب البريطانى :

أتمت القوات البريطانية، بقيادة الجنرال اللنبى، احتلال فلسطين ووضعت تحت الإدارة العسكرية المباشرة فى تشرين الأول ١٩١٨ . والقاعدة الدولية التى يجب أن يعمل بها المحتل فى إدارة المناطق المحتلة هى إقامة «الإدارة العسكرية التى تدير شؤون البلاد، مع المحافظة على أوضاعها قبل الحرب، إلى أن يتم تقرير مصيرها السياسى» . لكن الإحتلال البريطانى لم يسر على هذه القاعدة، لأنه قد بيّت النية لتنفيذ سياسة مرسومة من قبل، تهئ فلسطين بالتدريج كى تصبح وطناً قومياً للصهيونيين، عملاً بما جاء فى وعد بلفور الذى صدر عام ١٩١٧ . لذلك لم تبق الإدارة العسكرية البريطانية المحتلة التقسيمات الإدارية العثمانية، بل أعادت تقسيم البلاد إلى ثلاثة عشر لواء، على رأس كل لواء حاكم عسكرى بريطانى، وجميعهم مرتبطون بحاكم عسكرى فى القدس كان بدوره مرتبطاً بالقيادة العامة للجيش البريطانى فى القاهرة .

عندما تم الإنتقال من الإدارة العسكرية إلى إدارة مدنية أطلق عليها «حكومة عموم فلسطين» فى يوليو١٩٢٠م، أصبح الصهيونى البريطانى «هربرت صامويل» أول مندوب سام بريطانى فى فلسطين، كذلك عين الصهيونى «نورمان بنتوتش» مستشاراً قضائياً للحكومة وتولى المناصب

الكبرى عدد من موظفى وزارة المستعمرات البريطانية .. وقد عمل السير «هربرت صامويل» حتى عام ١٩٢٥م على تمكين اليهود من الإستيلاء على فلسطين .. حتى أطلق عليه وبحق «ملك اليهود» !

وعندما قال الجنرال «اللنبى» قولته الشهيرة فى التاسع من ديسمبر ١٩١٧م، مفاخراً أمام باب يافا : «إن الحروب الصليبية قد انتهت اليوم» ! .. فإنه قد سلم فلسطين لعصابات الإرهاب الصهيونى .

التكوين العمرانى والحضارى الإسلامى

تتألف القدس من قسمين هما : القدس القديمة، التى يحيط بها السور الكبير القديم، وهى التى تضم كل المقدسات : الصخرة المشرفة، المسجد الأقصى، كنيسة القيامة .. مما يشكل لها وضعاً فريداً لا مثيل له بين سائر المدن المقدسة فى العالم، أما القدس الجديدة، فهى الواقعة خارج السور، وتميزها حداثة العمران والأحياء الجديدة والشوارع المنتظمة .

شهدت القدس تحسناً عمرانياً فى عهد الرومان فبلغت مساحتها أكثر من كيلومترين مربعين . وكان الفتح العربى بداية التطور العمرانى الكبير . ويعود الفضل فى ذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب . ثم تابع الأمويون والعباسيون ومن جاء بعدهم تطوير القدس وتحسين اوضاعها العمرانية لتناسب أهميتها الدينية . وفى العهد العثمانى أصبحت القدس مركزاً لمتصرفية .

كان المخطط الهيكلى للبلدة القديمة فى هذا العهد يتألف من محورين رئيسين متعامدين ومشيرين بأطرافهما إلى الإتجاهات الأصلية . ويبدأ أحدهما من باب الخليل غرباً إلى باب السلسلة المفتوحة على الحرم

الشريف والثانى من باب العمود وينتهى جنوباً قرب النبى داود . وهكذا قسّم هذان المحوران البلدة القديمة إلى أربعة أحياء غيرمتساوية هى حى النصارى فى الشمال الغربى حول كنيسة القيامة ويكمله حى الأرمن فى الربع الجنوبى الغربى . أما الحى اليهودى فيحتل الربع الجنوبى الشرقى على حين يشغل حى المسلمين منطقة المسجد الأقصى فى الشمال الشرقى .

وبنايات القدس القديمة متلاصقة تفصل بين مجموعاتها حارات أوشوارع مرصوفة بالحجارة ومسقوفة بعقود تربط المبانى على جانبيها . وتتصف الأبنية بسماكة جدرانها المشيدة من الحجر الكلسى . وأما سقوف المنازل فمبنية من الحجر الخالص بشكل أقواس اوقباب . وقد ظلت مساحات واسعة من البلدة القديمة خالية من العمران قروناً طويلة .

بدأت المبانى تمتد خارج السور منذ أواخر القرن الماضى وأخذت المدينة تنموفى الإتجاه الشمالى الغربى، ونحوالغرب فى اتجاه مدينة يافا . وزحف القلب التجارى للمدينة المقدسة على طول امتداد طريق يافا .

أما الطرق المخصصة للأسواق فهى متقاطعة ومفتوحة على بعضها، لتسهيل الإتصال من سوق إلى آخر، فى حين تنتهى بعض طرق الحارات السكنية إلى نهايات مسدودة لتوفر للمارة الشعور بالإستقلالية، وأسواق المدينة مصنفة حسب نوع التجارة أوالصناعة، وذلك يتمشى مع أحدث نظم تخطيط المدن، فهناك سوق العطارين وسوق القطانين وسوق اللحامين والحدادين وخان الزيت والبازار والحصر والملابس إلى غيرذلك .

ولم يهمل المخطط للمدينة الخدمات الصحية، فاعتبرها من المكونات الرئيسة لها، حيث زودت بشبكة مجار حجرية تغطى المدينة وتنقل محتوياتها إلى خارج أسوارها .

أما مساكن المدينة فإنها تتجلى ببساطة تصميمها فى توفير المساحات الداخلية المكشوفة، والتى تعتبر من أهم مميزات العمارة الإسلامية، كما أن تأدية الوظائف، واستعمال المواد الإنشائية المحلية والتهوية الجيدة والتجانس بين الأبنية فى المدينة، كل ذلك يعتبر من الأسس المهمة فى تطبيق العمارة الإسلامية.

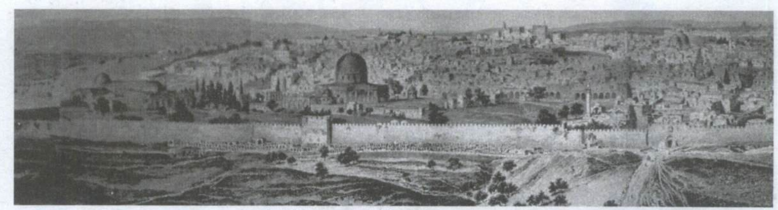
بعد حرب ١٩٤٨م وانفصال القدس الجديدة عن القدس القديمة، اتسعت المدينة القديمة بسرعة نحوالشمال والشرق وامتدت الأحياء مع شرايين الطرق الرئيسة، واستأثر طريق القدس - رام الله بالأحياء الراقية (الشيخ جراح وشعفاط وبيت حنينا) على حين امتدت الأحياء الشعبية شرقاً على طريق القدس - عمان، وجنوباً على طريق القدس - بيت لحم . وأما القلب التجارى فإنه تركز فى شارعى باب العمود وصلاح الدين . واستعمل الحجر الكلسى المنحوت فى المبانى الحديثة فاكتست به الجدران من الخارج فى حين بُطنت بالإسمنت من الداخل . وأما السقوف فمن الإسمنت المسلح بالحديد . وقد ساعد هذا على اتساع مساحة المسكن وانفراج نوافذه فتحولت الأقواس عن وظيفتها كدعائم تشد البنيان وترفع السقوف إلى مجرد زخارف تجمل البناء . وقد تعرض كثير من المبانى فى القدس القديمة للتدمير بعد عام ١٩٦٧م على يد سلطة الإحتلال الإسرائيلى.

أما القدس الجديدة فإن نموها أصبح مقصوراً على الإتجاه نحوالغرب حيث امتدت الأحياء السكنية بعماراتها الضخمة التى بنيت لإستيعاب أكبر عدد من المهاجر الصهيونيين . وخطط للمركز التجارى أن يزحف نحوالشمال الغربى فى اتجاه حى روميما على حين خطط للدوائر الرسمية أن تكون امتداداً للحى التجارى نحوالجنوب حيث مساحات

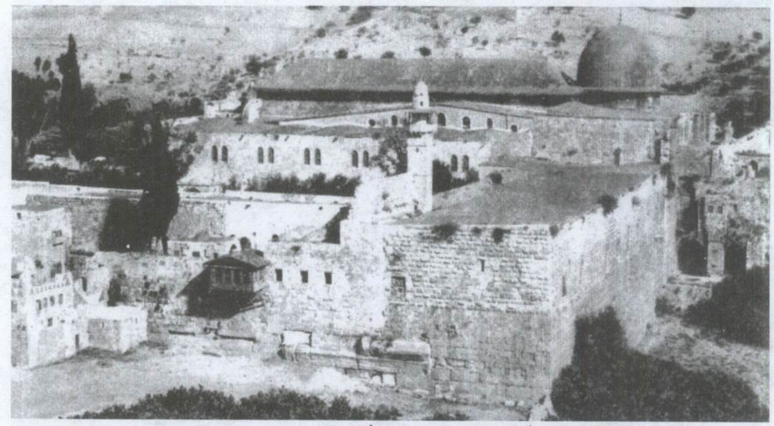
واسعة من الأرض التى تضم الجامعة العبرية والمكتبة العامة والمتحف والمؤسسات الأخرى . وهكذا ينحصر حى العمل المركزى فى القدس الجديدة بين الأحياء السكنية القديمة نسبياً شرقاً والأحياء الحديثة والضواحى غرباً وجنوباً بغرب . وهناك حزام أخضر من الأشجار والمتنزهات والملاعب بالضواحى من الجهة الغربية .

أعلنت سلطة الإحتلال الإسرائيلى بعد ١٩٦٧م ضم القدس العربية إلى القدس الإسرائيلية فى مدينة موحدة . وهذا الإعلان يخالف القوانين الدولية ويتحدى العالم . وفور الإعلان عن توحيد المدينة المقدسة قامت هذه السلطة بتصميم مخطط هيكلى للمدينة الموحدة والعمل على تنفيذ مشروع القدس الكبرى .

وبموجب هذا المشروع أصبحت القدس القديمة وما حولها من الأحياء والقرى العربية كوادى الجوز والثورى وسلوان والطور والعيسوية وبيت حنينا وشعفاط وقلندية وبيت صفافا وشرفات وصور باهر وأبوديس وجبل المكبر تابعة لبلدية القدس . وتهدف (إسرائيل) من وراء هذا المشروع إلى تهويد المدينة المقدسة .. التى أقيمت بها متاحف ومسارح وأسواق عصرية، كما انتشرت بها المدارس الدينية اليهودية والملاهى الليلية ! .. وتتباين الأزياء فى شوارعها .. فتشاهد المعطف الأسود المتطرف اليهودى .. وكبابيت الرهبان وجلابيب المسلمين إلى جانب بنطلونات الجينز .. وأحدث التقاليع الغربية !!



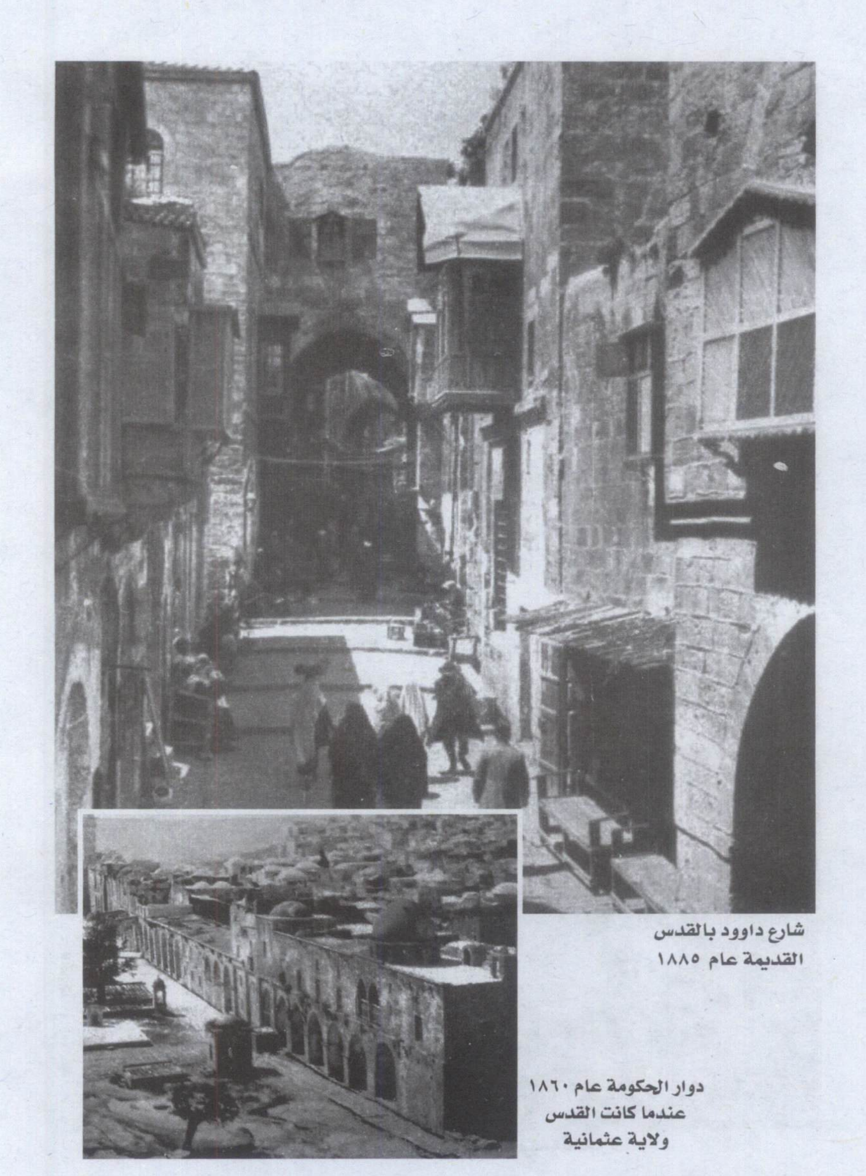
بانورما لمدينة القدس عام ١٨٣٤



أول صورة للمسجد الأقصى عام ١٨٤٩



مشهد عام للقدس يتوسطه مسجد قبة الصخرة.



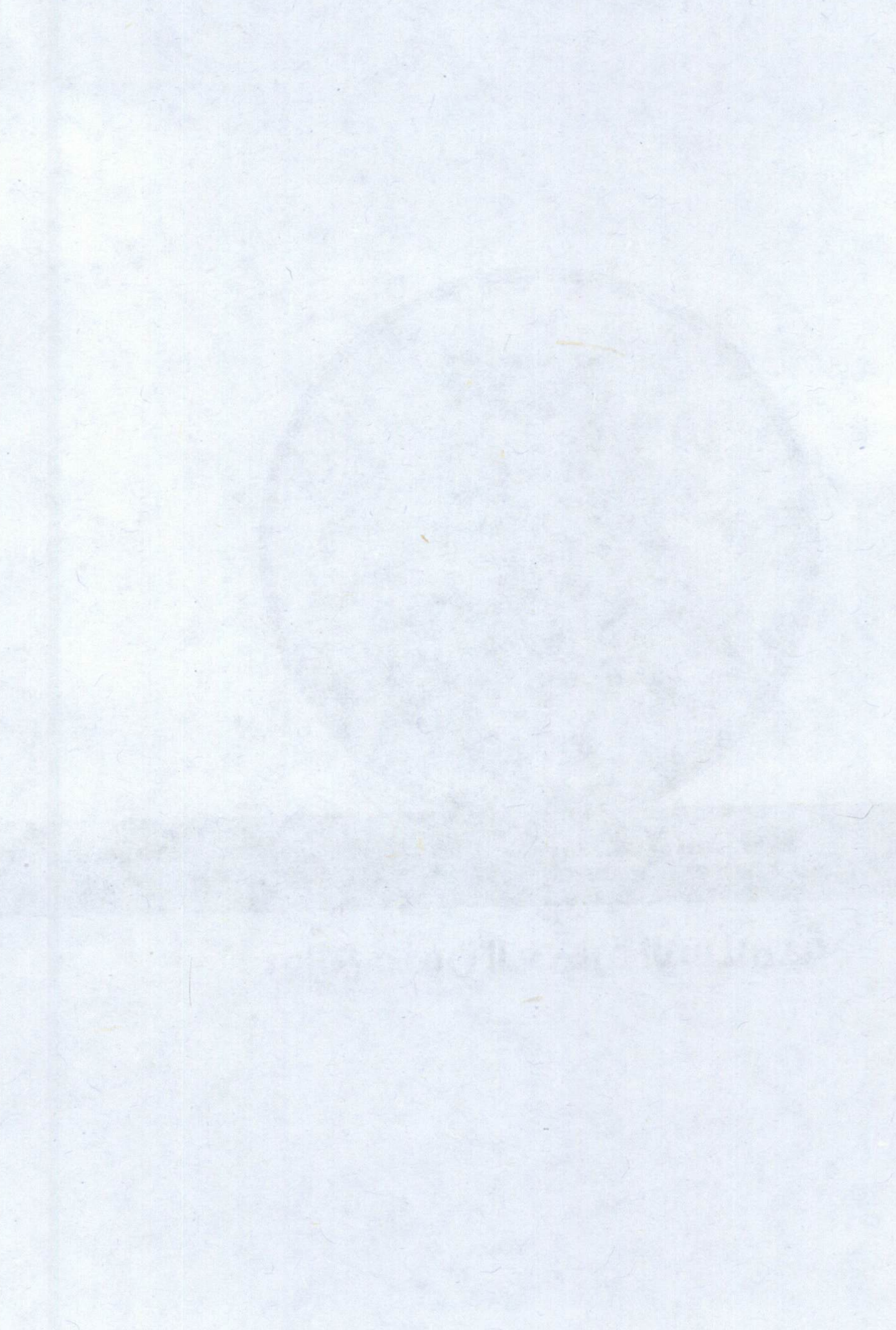
شارع داوود بالقدس
القديمة عام ١٨٨٥

دوار الحكومة عام ١٨٦٠
عندما كانت القدس
ولاية عثمانية



الفصـــل الثانى

روائع فنون العمارة الإسلامية



تزخر المدينة المقدسة بروائع العمارة الإسلامية، كان فيها نحومائة بناء أثرى، تشمل المساجد والمدارس والخانقاوات والزوايا والأسبلة والتكايا والربط والتحصينات، وقد زال معظمها، هذه المنشآت الحضارية، شيدت فى القدس، ولم تكن المركز السياسى فى أى من العصور الإسلامية، وقد حرص الخلفاء والسلاطين على تشييد المنشآت الدينية والمدنية بقصد فعل الخيرات والتعبير عما تفيض به مشاعرهم من المحبة والتقديس لهذه المدينة المقدسة، وتوفير سبل الراحة والإقامة للحجيج والزوار والمتصوفة .. من جميع بقاع الأرض.

إن الفنانين المعماريين الرواد قاموا بتنفيذ المنشآت العمرانية فى فلسطين، بعد الفتح العربى الإسلامى، كانوا إما من العناصر السكانية المحلية التى دخلت فى الإسلام، وإما من العناصر البيزنطية المستقرة فى فلسطين، والتى بقيت على النصرانية، وقدمت خدماتها للدولة الجديدة. وطبيعى أن هؤلاء الفنانين نشأوا فى ظل المدرسة المعمارية المحلية، والتى كان طابعها الفنى هوالطابع البيزنطى، كان عليهم أن يطوروا فنهم ليتلاءم مع متطلبات الدين الجديد.

ومن منطلق امتزاج الدين بالدولة فى الإسلام، وبدراسة روائع العمارة الإسلامية فى فلسطين منذ الأيام الأولى لقيام دولة الإسلام فيها نجد أن هذه المنشآت صُممت لتخدم الغرضين الدينى والسياسى معاً. وهذا ما يُلاحظ بشكل واضح فى بناء قبة الصخرة مثلاً، التى بُنيت فى مدينة القدس وانتقى موقعها الطبوغرافى فى ساحة الحرم الشريف، وشُيد بناؤها فوق الصخرة الشريفة. ولم يكن كل هذا عرضاً أومصادفة فالقدس موطن الديانات السماوية السابقة، وتقترن بمعجزة الإسلام:

فى الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهى قبلة الإسلام الأولى . ولكل من هذه الحقائق مدلولاتها السياسية والدينية معاً وإذا تُرك جانباً مخطط القبة الهندسى، ومعادلة مخطط البناء وأبوابه وبواباته، وأُلتفت إلى زخارف الفسيفساء الهندسية والأرابيسك التى توحى بالصفاء الروحى، والكتابات الإسلامية التى تدفع إلى التأمل فى القدرة الإلهية دل هذا البناء على مولد فن عالمى جديد يتصل فيه ماضى هذه الأمة بحاضرها الذى طبعه الإسلام بطابعه المتميز .

والرباطات هى أحد فنون العمارة الحربية، يقيم فيها المحاربون للدفاع عن البلاد . وقد انتشرت فى المناطق الساحلية من فلسطين مثل: غزة، وميماس، وعسقلان، والماحوز، وأسدود، ويافا، وأرسوف وغيرها. ويمتاز الرباط بجدران خارجية متينة مزودة بأبراج، وفى الداخل فناء تحيط به حجرات صغيرة للسكن، إضافة إلى مسجد . وفى أوقات الضرورة، توقد من منارة الرباط نيران إذا كان الوقت ليلاً، وإن كان نهاراً دخّنوا . وتوجد فى كل رباط إلى القصبة عدة منائر شاهقة رُتب لكل منها أقوام . فإذا أوقدت المنارة التى للرباط توقد التى تليها ثم الأخرى. فلا تكون ساعة إلا وقد أنفر بالقصبة، وخرج الناس إلى ذلك الرباط بالسلاح والقوة .

وقد عنى المسلمون بإقامة المساجد أينما كانوا يحلون، سواء فى المدن والقرى القائمة فى فلسطين، أوفيما أنشأوه من مدن كالرملة التى أقيم فيها الجامع الأبيض سنة ٩٦هـ/٧١٥م . وبُنيت له فى خلافة هشام بن عبد الملك منارة بهية . أما الناصر محمد بن قلاوون فقد بنى فى الجامع الأبيض منارة سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، وهى من عجائب الدنيا .

وقد تطورت المساجد مع مرور الزمن، وزُخرفت جدرانها بكتابة آيات من القرآن الكريم، وزُينت أعمدتها بالجص والتيجان . وأصبحت فى معظمها مكونة من مساحة كبيرة مكشوفة فى الغالب، يحيط بها أربعة أروقة تسندها الأعمدة، والرواق المتجه نحوالكعبة واسع فيه المحراب والمنبر، ثم كان استعمال القبة، والأعمدة ذات التيجان، والأقواس نصف الدائرية فتحاً جديداً فى عمارة المساجد .

وقد زين الأمويون البلاد بالقصور والأبنية الفخمة، مثل قصورهم فى القدس وقصر هشام بن عبد الملك فى خربة المفجّر قرب أريحا، ويُنسب إليهم قصر حيفا . وقصورهم فى البادية ما زالت تذهل علماء الآثار لروعة آثارها الهندسية وتصويرها الذى يمثل أحوال البادية ومناظر الصيد والغزوات .

وحفلت المدن الفلسطينية بطرز معمارية أخرى، كالخانات والأسبلة والأسواق والحمامات والمدارس . والخانات فنادق ينزل فيها المسافرون مع دوابهم (كخان التجار فى نابلس) وخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشترى المسافر منه ما يحتاج إليه لنفسه أولدابته . والأسبلة هى أماكن يرتوى منها المارة، تقام مستقلة أوملحقة بالمسجد أوالمدرسة، وهوغنى بزينته وزخارفه وقبته، وسبيل باب السلسلة الذى بنى مع أسبلة أخرى فى العصر العثمانى فى القدس . وتقوم الأسواق (القياسر) فى أماكن معينة فى المدن، وتمتاز بقناطرها وعقودها . وتكاد الحمامات تكون أمراً شائعاً فى جميع المدن الإسلامية وجدران بعضها مزينة بالصور والرسوم .. أما المدارس، فقد خلّف سيف الدين تنكز المدرسة التنكزية فى القدس، وتُعرف بالمحكمة الشرعية، وهى آية من الفن المعمارى، لا سيما زخرف

الأبواب العالية والحجارة الملونة والمقرنصات . وتقع فى باب السلسلة المدرسة الأشرفية التى بنيت فى عهد السلطان قايتباى .

وتكثر فى فلسطين الأضرحة التى كانت تبنى غالباً على شكل قبة أوابراج أسطوانية ذات سقف مخروطى . وكان المماليك قد أكثروا من إقامة المزارات والمشاهد والمقامات والأسبلة من فنون العمارة المختلفة فى فلسطين بعد استرجاعها من الصليبيين . كما انتشرت زوايا المتصوفين وبيوتهم التى عرفت بالخوانق، كخوانق الكرّمية فى القدس . وفيها أيضاً الخانقاة الصلاحية الملاصقة لكنيسة القيامة، وقد اشتهرت بمئذنتها التى بنيت سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م . هذا إلى جانب التكايا التى انتشرت فى العهد العثمانى.

أما طرق المدينة المقدسة : فإنها تتميز بالعقود الحجرية الجميلة التى تعود إلى العصور الإسلامية المتوسطة، والبعض الآخر مفتوح، كما بنيت المدارس والمساكن والزوايا والسبل للسقاية على جانبى الطرق، وتحمل العقود الحجرية فوقها الأبنية الحجرية التى تطل على الطريق بشبابيكها الصغيرة.

وتصميم هذه الطرق الرفيعة، يوفر الظلال المريحة للمشاة ويخفف من درجة الحرارة ويمنع سقوط أشعة الشمس المباشرة على المارة وخصوصاً فى أيام الصيف، وهذا ما تتميز به العمارة الإسلامية فى المدن الإسلامية التاريخية، وبإمكان الإنسان أن يقطع طرق القدس الشريف فى وقت قصير، وأن يقضى جميع احتياجاته سيراً على الأقدام دون تعب أوملل، ويرجع ذلك إلى فلسفة تخطيط المدينة وإلى اتباع الأسس السليمة فى العمارة.

أبواب القدس :

لمدينة القدس سبعة أبواب ما زالت مستعملة وأربعة أبواب مغلقة والأبواب السبعة المستعملة هى:

- باب «العمود» المعروف عند الأجانب «بباب دمشق» ويقع فى منتصف الحائط الشمالى لسور القدس تقريباً ويعود تاريخه إلى عهد السلطان سليمان القانونى العثمانى، ويعلوهذا الباب قوس مستدير قائم بين برجين، ويؤدى بممر متعرج إلى داخل المدينة، وقد أقيم فوق أنقاض باب يرقى إلى العهد الصليبى. ووجدت أثناء حفريات سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٦٦ بقايا بابين يعود أحدهما إلى زمن الإمبراطور «هادريانوس» الذى أسس مدينة «إيليا كابيتولينا» بين سنتى ١٣٣ و١٣٧ ميلادية على أنقاض المدينة التى دمرها الإمبراطور طيطوس، والثانى هوالذى بناه هيرودوس أغريباس فى منتصف القرن الأول الميلادى وتظهر الكتابة فوق باب هادريانوس اسم المدينة الجديدة. والباب قوس ضخم يرتكز على دعامتين من الحجارة القديمة المنحوتة نحتاً ناعماً والمزودة بإطار أنعم نحتاً. وقد أضيف عمود داخل الباب فى أيام الإمبراطور هادريانوس نفسه. ويظهر العمود فى خريطة الفسيفساء التى عثر عليها فى الكنيسة البيزنطية فى مأدبا وقد بقى هذا العمود حتى الفتح الإسلامى، ولذلك سمى العرب الباب باب العمود وكان يدعى من قبل باب دمشق لأنه مخرج القوافل إليها.

-باب «الساهرة» المعروف عند الغربيين باسم «باب هيرودوس» ، وهومثل سابقه يقع إلى الجانب الشمالى من سور القدس، على بعد نصف

كيلومتر شرقى باب العمود. وباب الساهرة بسيط بنى ضمن برج مربع. وهويرقى إلى عهد السلطان سليمان الثانى.

- باب «الأسباط» أوكما يسميه الغربيون باب القديس أسطفان، يقع فى الحائط الشرقى، وهويماثل باب الساهرة فى شكله، ويعود تاريخه أيضاً إلى عهد السلطان سليمان نفسه.

-باب «المغاربة» وباب «داود» فى الحائط الجنوبى لسور القدس. وباب المغاربة أصغر أبواب القدس. وهوقوس قائم ضمن برج مربع. وأما باب داود الذى يعرفه الأجانب باسم باب صهيون فهوباب كبير منفرج يؤدى إلى ساحة داخل السور. وقد أنشئ فى عهد السلطان سليمان عندما أعاد بناء سور المدينة.

- باب «الخليل» الذى يسميه الغربيون باب «يافا» ويقع فى الحائط الغربى.

الباب «الجديد» فتح فى الجانب الشمالى للسور على مسافة كيلومتر تقريباً غربى باب العمود. وهوحديث العهد يعود إلى أيام زيارة الإمبراطور الألمانى غليوم الثانى لمدينة القدس سنة ١٨٩٨م.

وأبرز الأبواب الأربعة المغلقة «باب الرحمة» الذى يسميه الأجانب «الباب الذهبى» لجماله ورونقه، ويقع على بعد ٢٠٠م جنوبى باب الأسباط فى الحائط الشرقى للسور. ويعود هذا الباب إلى العصر الأموى، وهوباب مزدوج يعلوه قوسان ويؤدى إلى باحة مسقوفة بعقود ترتكز على أقواس قائمة فوق أعمدة كورنيشة ضخمة. وقد أغلق هذا

الباب فى أيام العثمانيين بسبب خرافة سرت بين الناس آنذاك مآلها أن الفرنجة سيعودون ويحتلون مدينة القدس عن طريق هذا الباب، وهومن أجمل أبواب المدينة ويؤدى مباشرة إلى داخل الحرم.

والأبواب الثلاثة المغلقة الأخرى تقع فى الحائط الجنوبى من السور، قرب الزاوية الجنوبية الشرقية وتؤدى جميعها إلى داخل الحرم مباشرة، وأولها ابتداء من زاوية السور الباب الواحد ويعلوه قوس.

وثانيها «الباب المثلث» وهومؤلف من ثلاثة أبواب يعلوكلاً منها قوس. والثالث المزدوج وهومن بابين يعلوكلاً منهما سور. وتشير الأدلة إلى أن هذه الأبواب الثلاثة أنشئت فى العهد الأموى أيام بنى الخليفة عبدالملك بن مروان قبة الصخرة.

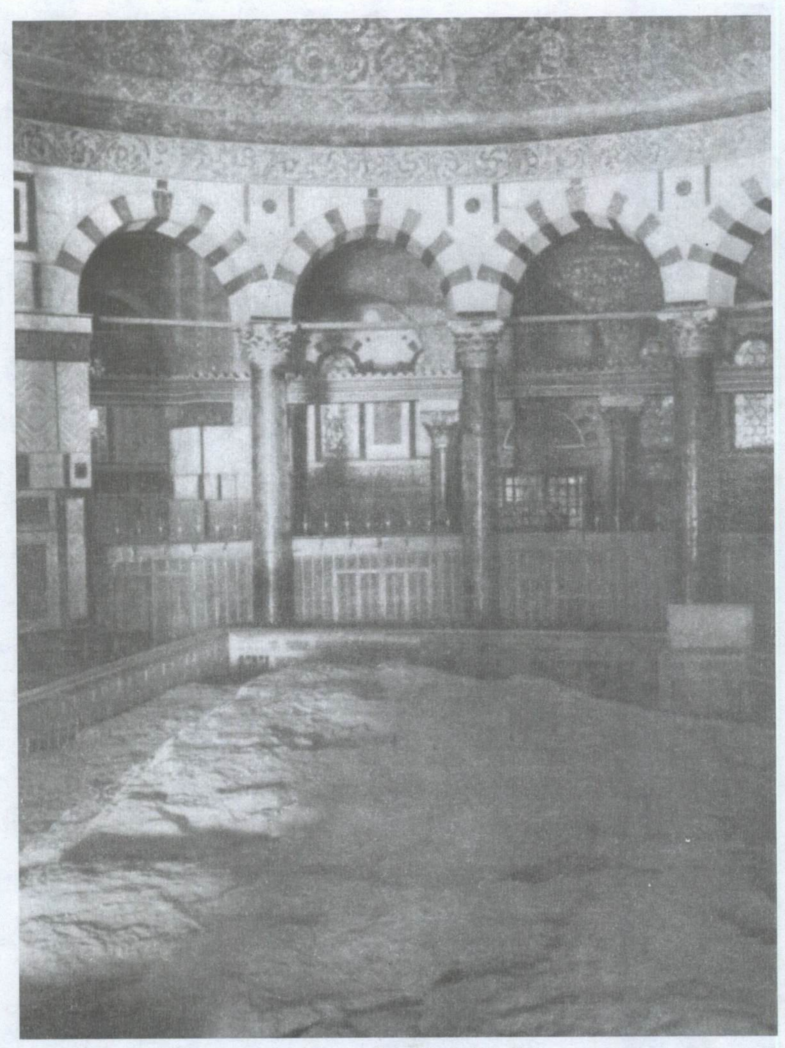
إن ما عثر عليه من آثار أبواب قديمة تحت باب العمود يدل على أن تحت الأبواب الحالية أبواباً أخرى قديمة ترقى إلى عهود سابقة.



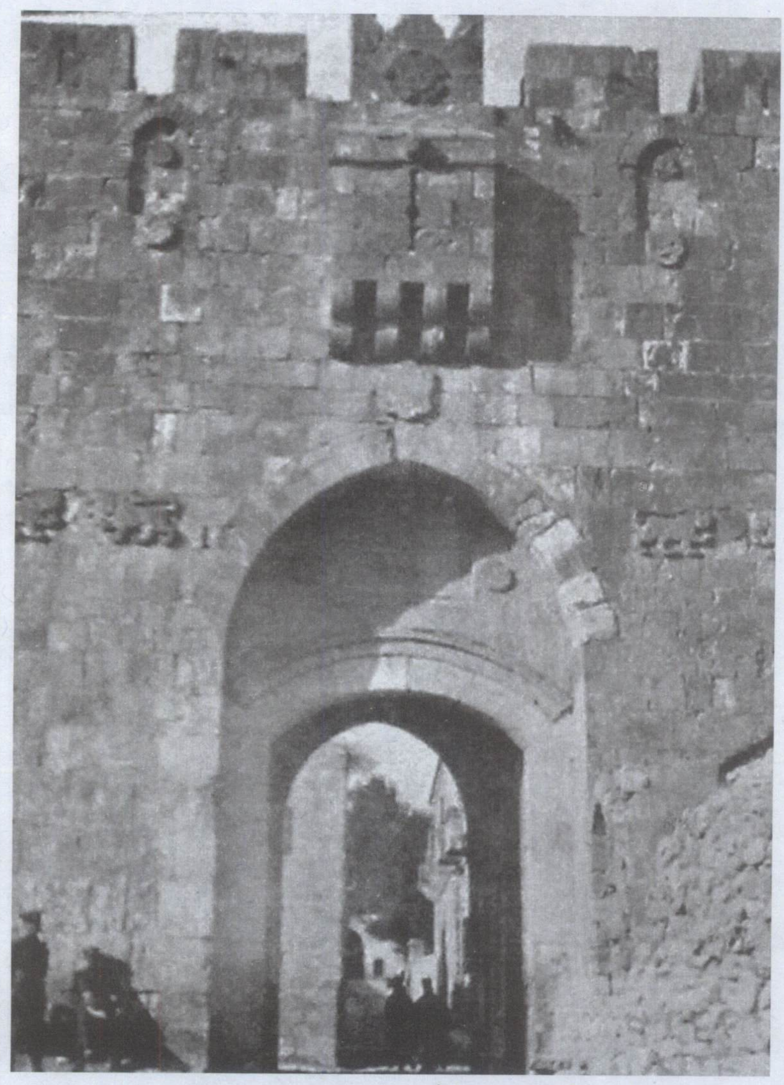
قبة الصخرة عام ١٨٨١



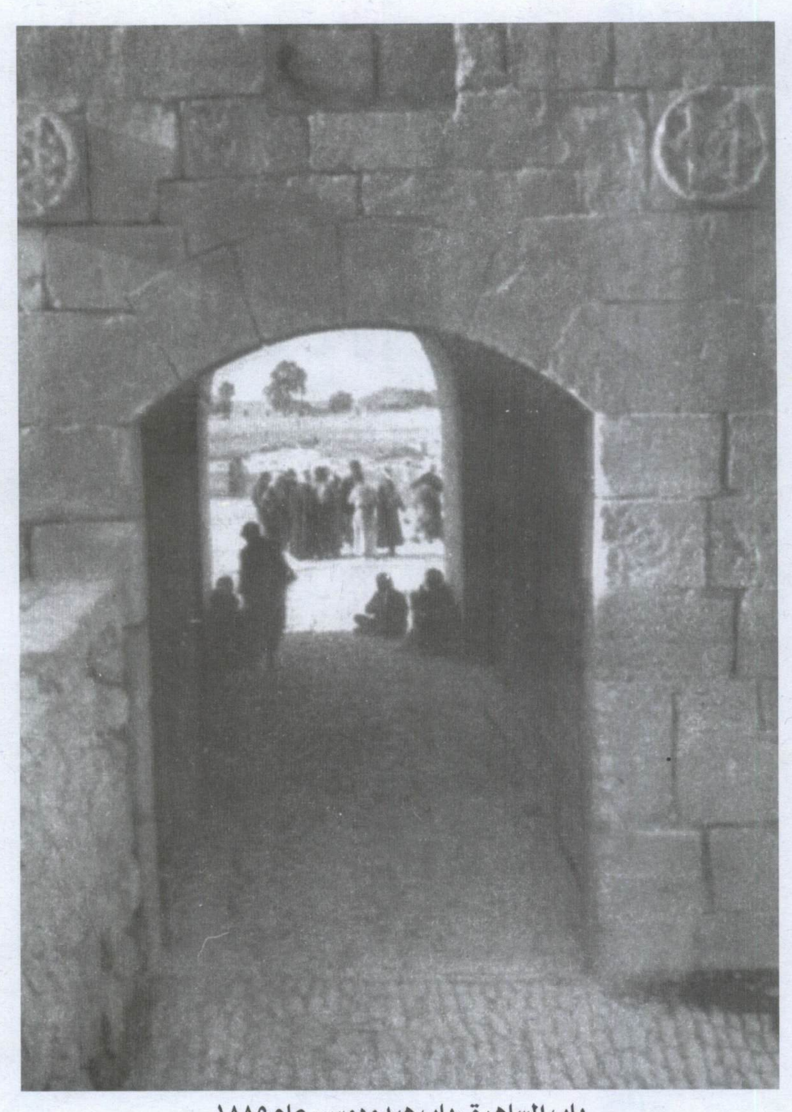
باب العامود «باب دمشق» أشهر أبواب القدس عام ١٩٠٥



الصخرة المقدسة عام ١٨٨٥



باب الأسباط عام ١٨٨١



باب الساهرة «باب هيدودوس» عام ١٨٨٥



باب المغاربة عام ١٩٠٠



باب الخليل «باب يافا» يعلوه برج الاسعة الشهير عام ١٩٠٠

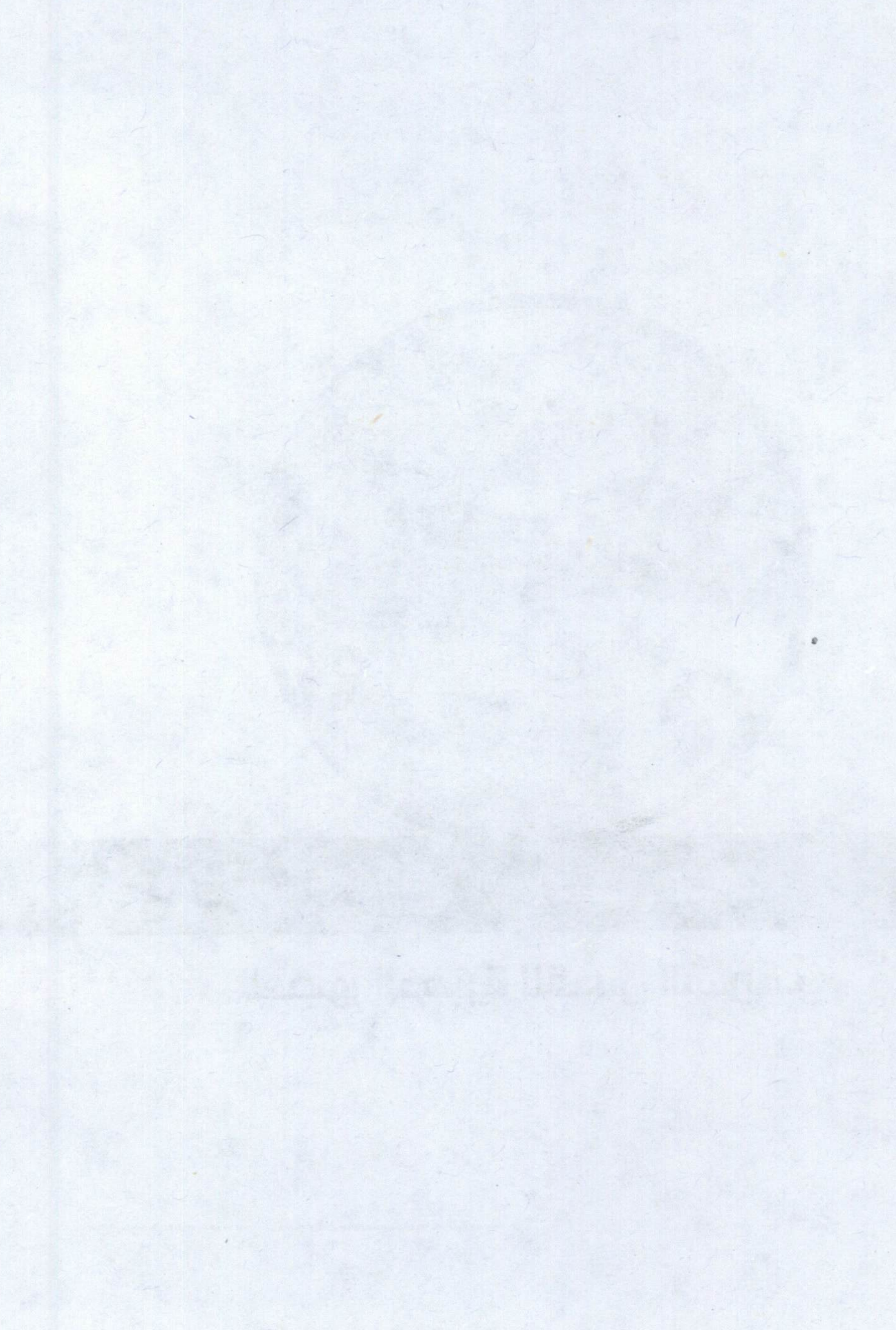


باب الرحمة «الباب الذهبي» عام ١٨٨١



الفصـل الثـالث

العصور الذهبية للقدس الشـريف



عصر خلفاء بنى أمية

أولى خلفاء دولة بنى أمية» مدينة القدس «اهتماماً خاصاً، وحرص بعضهم على أن تشهد القدس مبايعتهم للخلافة، كما حرصوا على أن يشيدوا بها المساجد والربط والقصور ...

وفى هذا العصر الذهبى نشأت عملية تمازج بين فكر ونتاج الحضارتين البيزنطية والفارسية من جهة، والحضارة الإسلامية الوليدة من جهة أخرى .. وكان أبرز أوجه هذا التمازج الحضارى فى مجال العمارة الإسلامية، وفى فلسطين - بصفة خاصة - توارث الفن المحلى فنون الأمم التى شيدت وجوداً سياسياً وحضارياً فى أرضها .. فقد امتزج الفن المعمارى المتوارث بالخصائص التى طبع بها الإسلام عطاء الفنان المسلم.

وتمثل مجموعة الحرم الشريف قلب مدينة القدس، ويحيط بها سور حجرى عتيق يبلغ طوله حوالى ١٦٠٠ متر ويشتمل على تسعة أبواب هى الرحمة وحطة وفيصل والغواغة والناظر والحديد والقطانين والسلسلة والمغاربة. ويتصل الحرم الشريف بباقى أجزاء المدينة بطرق تتفرع من أبواب الحرم التسعة، وتمتد بين أجزاء المدينة المحتلة ذات الوظائف المتعددة. ولم يقف اختلاف المناسب الطوبوغرافية، ضمن المدينة، حائلاً أمام المخطط والمصمم، حيث تم التغلب على ذلك باستعمال أدراج حجرية عريضة ومريحة لتنقل الشخص من مستوى إلى آخر.

وكان من أبرز وأهم آثار الأمويين خاصة، والعمارة الإسلامية عامة :

مسجد قبة الصخرة :

يصف العالم الأثرى الشهير (فان برشم) قبة الصخرة بقوله : «لعل روعتها وجمالها يعودان لما فى تخطيطها وتصميمها من بساطة وتناسق .. حقاً إنها مفخرة العمارة الإسلامية.

وعنها يقول «جوستاف لوبون» إنها أعظم بناء يستوقف النظر، إن جمالها وروعتها لا يصل إليهما خيال إنسان وقد شرع فى بنائها الخليفة عبدالملك بن مروان فى سنة ٦٨هـ/٦٨٨م، واكتمل سنة ٧٢هـ/٦٩١م.

ويعتبر المسجد من أجمل آثار التاريخ الإنسانى، وقد رصد لبنائه خراج مصر لمدة سبع سنين، حتى شيدت القبلة التى أفرغت فيها روائع الفن والذوق العربى الإسلامى، ويقع المسجد حول الصخرة المشرفة بوسط فناء واسع مرتفع عن أرض الحرم الشريف، ويبلغ ارتفاع قبته ثلاثين متراً، وهى أبرز ملامح المدينة، وتتألف من طابقين : الطابق العلوى مكسوبصفائح من الرصاص، وعقب ضربه بالقنابل الإسرائيلية عام١٩٤٨ استبدل بها صفائح من الألومنيوم المذهب، والبناء مثمن الشكل، وطول كل ضلع ٢٠ متراً، وارتفاعه ١٠ أمتار، والطابق السفلى مصفح برقائق الرخام الأبيض الجميل، تزينها مربعات من القيشانى الفيروزى، كتبت عليها سورة «يس» باللون الأبيض، وتزدان هذه الواجهات الثمانية بنوافذ من الزجاج الملون، عددها ٥٦ نافذة، وتحت الصخرة «مغارة الأنبياء» التى ينزل إليها بإحدى عشرة درجة، وللمسجد أربعة أبواب مزدوجة.

والبائكة المثمنة تحيط بالاسطوانة الدائرية التى تحمل القبة، وما بينهما يسمى بالمطاف الداخلى، وتتكون من أربعة وعشرين عقداً محمولة

فوق ثمانية دعائم وستة عشر عموداً بواقع عمودين بين كل دعامتين، وتم ربط عقود هذه البائكة بواسطة عرقين من الخشب متجاورين، فوقهما مدماك من الطوب، ويحمل هذا المطاف سقفاً جمالونياً يميل قليلاً إلى الخارج، أما «المثمن الخارجى» فطول كل ضلع ٢٠,٦ متر وبارتفاع ٩,٥ متر ويحمل هذا المطاف سقفاً خشبياً يناسب ميل جمالون المطاف الأول، ويساعد هذا الميل على تصريف مياه الأمطار عن طريق ثمانية وأربعين ميزاباً، ستة فى كل ضلع، ترتفع داخل دورة فوق أضلاع المثمن الخارجى، والتى يحتوى كل ضلع منها سبعة بانوهات، يتخلل الخمسة الوسطى منها شبابيك مزدوجة تزدان من الخارج بالحديد المشغول، ويذكر بعض الرحالة أن أبواب المسجد كانت مهداة من والدة الخليفة العباسى المقتدر.

والمشهد - بصفة عامة - يلائم الطواف حول الصخرة .. وفى الضلع الجنوبى من المثمن الخارجى نجد المحراب المجوف، وأهميته حسب اعتقاد العالم الأثرى «كريزويل» أنه أول محراب مجوف فى الإسلام، علماً بأن المحراب الموجود أسفل الصخرة بالكهف عبارة عن علامة على الحائط!

المسجد من الخارج يبدو كقطعة رائعة من الجمال والفن الرفيع، الجدران الخارجية مجلدة بالرخام الأبيض الفاخر حتى منتصفها ثم تزدان بعد ذلك بالقيشانى الفاخر الملون، أما الجدران من الداخل والدعائم والأعمدة فتزدان بالرخام وزخارف الفسيفساء الملونة فى أشكال نباتية تجل عن الوصف .. حتى قال عنها البروفيسور «بريتش» : تبدو وكأنها تسبح فى فضاء خال من الهواء، متحررة من قانون الجاذبية الأرضية .. ثم يتساءل إذا ما كان الفنان المسلم قد قصد بها تصوير الجنة؟!

وعمارة مسجد قبة الصخرة وزخارفه : أشكالها وطرزها وفلسفتها، قد أفاضت المصادر القديمة والحديثة فى وصفها .. وقد تناولها بأشمل وأدق التفاصيل «د.كريزويل» فى مؤلفه الضخم عن العمارة الإسلامية.

المسجد الأقصى:

المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله، وإليه أسرى برسول رب العالمين - صلى الله عليه وسلم - ومنه كان معراجه إلى الحضرة الإلهية تأكيداً على أن رسالته هى الخط التوحيدى الأعظم، والأقصى هوالقبلة الأولى للمسلمين وثالث الحرمين الشريفين.

ينسب معظم المؤرخين المسلمين بناء المسجد الأقصى إلى الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان. ومن هؤلاء البشارى المقدسى وشهاب الدين أحمد بن محمد المقدسى ومجير الدين الحنبلى والسيوطى. ويقولون إنه بناه سنة ٧٢ هـ/٦٩١م. وينسبه بعض المؤرخين، ومنهم ابن البطريق وابن الأثير وابن الطقطقى، إلى الوليد بن عبدالملك (حكم من ٨٦ - ٩٦ هـ/ ٧٠٥ - ٧١٤م). وتؤكد هذا الرأى مجموعات من أوراق البردى تضم مراسلات بين قرّة بن شريك عامل مصر الأموى (٩٠ - ٩٦هـ/٧٠٩ - ٧١٤م) وأحد حكام الصعيد وتتضمن ذكر نفقات العمال الذين كانوا يتولون بناء مسجد القدس. وتدل هذه الأوراق بصورة قاطعة على أن العمل فى بناء المسجد كان جارياً حوالى سنة ٩٠هـ/٧٠٩م. ويعنى هذا أن بانى المسجد هوالوليد بن عبدالملك، أوأنه هوالذى أتم بناءه.

ويختلف بناء المسجد الحالى عن بناء الأمويين اختلافاً كبيراً. فقد بنى المسجد بعد ذلك ورمم عدة مرات: ففى أواخر الحكم الأموى (١٣٠

هـ/٧٤٧م) حدث زلزال سقط بسببه شرقى المسجد وغربيه. وقد جرت إعادة بناء المسجد زمن الخليفة العباسى المنصور سنة ١٤١هـ/٧٥٨-٧٥٩م. وفى سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م وقع البناء الذى أقامه المنصور بسبب زلزال آخر فأمر الخليفة المهدى بإعادة بنائه. وبنى المسجد هذه المرة بعناية كبيرة وأنفقت عليه أموال طائلة. وكان يتكون من رواق أوسط كبير يقوم على أعمدة رخام وتكتنفه من كل جانب سبعة أروقة موازية له وأقل منه ارتفاعاً.

وفى سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م خرب المسجد الأقصى خراباً كبيراً بسبب زلزال آخر فعمره الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز دين الله وضيقه من الغرب والشرق بحذف أربعة أروقة من كل جانب. والأبواب السبعة التى فى شمال المسجد اليوم هى من صنع الظاهر. كما أن جزءاً كبيراً من بناء الأقصى الحالى - قبل التعميرات التى جرت فى هذا القرن - يرجع إلى الظاهر.

وعندما احتل الصليبيون القدس غيروا معالم المسجد فاتخذوا جانباً منه كنيسة وجانباً آخر مسكناً لفرسان الاسبتارية وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناء جعلوه مستودعاً لذخائرهم.

ولما حرر صلاح الدين الأيوبى القدس أمر بإصلاح المسجد الأقصى وإعادة البناء إلى ما كان عليه قبل الاحتلال الصليبى. وجدد صلاح الدين محراب المسجد وغشّاه بالفسيفساء وأتى بالمنبر الرائع الذى أمر نور الدين محمود بن زنكى بصنعه للمسجد الأقصى من حلب ووضعه فى المسجد.

وفى سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م أنشأ الملك المعظم عيسى بن أحمد ابن أيوب الرواق الشمالى للمسجد، وهويشمل سبعة أقواس تقابل أبواب المسجد السبعة.

وقد أجرى السلاطين المماليك، ثم العثمانيون، إصلاحات وتعميرات كثيرة فى المسجد الأقصى. ولكن شكله العام لم يتغيرمنذ عهد الأيوبيين.

ويزدان حرم المسجد الأقصى من جهة الغرب بأروقة محكمة البناء، تمتد من جهة القبلة إلى جهة الشمال. وأولها عند باب الحرم المعروف بباب المغاربة وآخرها عند باب الغوانمة، وكلها عمّرت فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون فى مدد مختلفة. فالرواق الممتد من باب المغاربة إلى باب السلسلة عمّر فى سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، والرواق الممتد مما يلى منارة باب السلسلة إلى قرب باب الناظر عمّر فى سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٧م، والرواق الممتد من باب الناظر إلى قرب باب الغوانمة عمّر سنة ٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧م. وعمّر السور القبلى عند محراب داود، وهوجزء من سور المدينة الممتد من المسجد الأقصى إلى زاوية السور الجنوبية الشرقية عند مهد عيسى عليه السلام. ورُخّم صدر المسجد الأقصى، أى حائط المسجد الجنوبى، وفُتح بالمسجد المذكور الشباكان اللذان على يمين المحراب وشماله فى سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م. وجدد تذهيب قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة حوالى سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م.

لقد كان المسجد الأقصى أعظم الأثر فى الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية فى القدس - كما كان من أكبر المؤسسات التعليمية فى الإسلام، ومركز الاحتفالات الدينية الكبرى فى المدينة المقدسة،

ومقر الحياة السياسية، فكانت تعقد فيه الاجتماعات وفيه كانت تعلن براءات تعيين كبار موظفى الدولة وبويع فيه بعض الخلفاء وكانت تتلى فيه المراسيم السلطانية!

عصر صلاح الدين وبنى أيوب

كان أول عمل قام به السلطان صلاح الدين الأيوبى مؤسس الدولة الأيوبية عند فتحه بيت المقدس استرجاعه الأماكن الإسلامية التى كان قد استولى عليها الصليبيون. وقد جدد محراب المسجد الأقصى وبناه بالرخام وأرّخ ذكرى فتح بيت المقدس فى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. وهذه الكتابة موجودة الآن فوق المحراب المذكور. وأحضر المنبر الذى أمر بصنعه الشهيد نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩ خصيصاً لينقل إلى المسجد الأقصى عند فتح بيت المقدس. والمنبر مصنوع من الخشب ومرصّع بالعاج والأبنوس، وتشاهد فيه دقة الصناعة الإسلامية التى كانت شائعة فى تلك الأيام. وللأسف الشديد أضرم النار فيه صهيونى صباح يوم ٢١/٩/١٩٦٩ محاولاً بذلك حرق المسجد الأقصى.

وبنى السلطان صلاح الدين أسوار مدينة القدس وأبراجها التى كانت تهدمت، وشارك بنفسه فى تشييد الأسوار وتحصينها، ولا يزال جزء كبير منها موجوداً إلى الآن. وحفر الخندق الذى يحيط بسور المدينة من باب العمود إلى القلعة فى باب الخليل.

وفى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م جدد قبة الصخرة وزيّن داخلها بالزخرفة العربية بماء الذهب على ما يُرى فى وقتنا الحاضر. وأسس الخانقاه الصلاحية الواقعة فى الشمال الغربى من كنيسة القيامة فى حارة

النصارى وجعلها رباطاً للصوفية وعين عليها الشيخ غانم بن على. وأسس المدرسة الصلاحية للفقهاء الشافعية مكان الكنيسة المعروفة بكنيسة القديسة حنة عند باب الأسباط ووقف عليها وعلى مصالح المسجد الأقصى المبارك أوقافاً حسنة منها الأسواق الثلاثة المتحاذية المعروفة اليوم بسوق العطارين واللحامين والصياغ.

ومن أهم آثار عصر الدولة الأيوبية : الزاوية الختنية التى أسسها صلاح الدين بظاهر جدار الأقصى الجنوبى، عين العروب، الجامع العمرى (جامع عمر)، المدرسة الميمونية، قبة المعراج، قبة سليمان، زاوية الشيخ الجراح، المدرسة الناصرية فى منتصف السور الشرقى، زاوية الدركاء وكانت مقراً لنواب القدس، زاوية الهنود، القبة النحوية وكانت مقراً لقاضى القضاة، برج الملك داود عيسى أبى العزائم المعظم الذى تقف عليه منارة جامع القلعة، سبيل مشعلان بالشمال الغربى لقبة الصخرة، المدرسة المعظمية الحنفية، وبيمارستان، وخانقاه للصوفية .

هذا بخلاف ما شيد فى عصر سلاطين المماليك، وفى عصر الإمبراطورية العثمانية .. من مساجد قباب ومدارس وزوايا ورباطات وخانقاوات وتكايا وأسبلة وحمامات وخزائن كتب، وكلها تؤكد على أن «زهرة المدائن» كانت واحدة من منارات الثقافة الإسلامية الكبرى فضلاً عن مكانتها الروحية .

منارة للعلم والثقافة

كان فتح السلطان «صلاح الدين الأيوبى» لمدينة القدس سنة ٥٨٣هـ/ ١١٧٨م بداية سعيدة للحياة العلمية التى عمّت ديار الشام عامة وفلسطين خاصة. ولم تمنع صلاح الدين مشاغله الحربية وهمومه السياسية من الاهتمام بالعلم وأهله، وإعادة بناء ما خرّبه المغول والتتار والصليبيون من دور علم، وما أحرقوه من خزائن كتب، وما هدموه من مدارس وجوامع ومنشآت حضارية تمثل الوجه الناصع للحضارة العربية الإسلامية.

استهل صلاح الدين عهده فى فلسطين بعملين جليلين هما إنشاء المدارس والعمل على تزويد المسجد الأقصى بالكتب الدينية والعلمية. فقد عمد إلى تحويل الدار التى بناها فرسان المنظمة الصليبية العسكرية المسماة «الاسبتارية» إلى مدرسة كبرى (هى المدرسة الصلاحية) يُدرس فيها الفقه الشافعى. ويقول العماد الأصفهانى: «فاوض السلطان جلساؤه من العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار فى مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للعلماء الصوفية فعيّن للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حنّة عند باب الأسباط وعيّن دار البطرك للرباط ووقف عليهما وقوفاً» . ويقول مجير الدين العليمى مشيراً إلى حرص صلاح الدين على تزويد هذه المدارس بالكتب: «إن السلطان صلاح الدين أمر بهدم البناء الذى أقامه الصليبيون فى الصخرة، وأعادها كما كانت ورتّب لها إماماً حسن القراءة ووقف عليها داراً وأرضاً وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات شريفة» .

وقد سار الأيوبيون على سنّة صلاح الدين فى تأسيس المعاهد العلمية

وتزويدها بالمدرّسين والكتب المخطوطة. فقد جدّد الملك المعظم عيسى بن أحمد بن أيوب بناء المدرسة الناصرية، أوالغزالية، وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو.

وفى فلسطين خزائن كتب عامة وخاصة كثيرة. فأما العامة فأشهرها خزانة المسجد الأقصى فى القدس. ويبدومن مراجعة فهرسها أنها تحوى كتباً دينية مخطوطة قدّر عددها بألف مخطوط كالمصاحف والربعات وكتب أكثرها فى العصرين المملوكى والعثمانى. وفى الخزانة أيضاً كتب متفرقة فى الأدب والفقه على المذاهب الأربعة والتفسيروالحديث.

وفى الخزانة نحوعشرة آلاف كتاب أكثرها مطبوع.

أما خزائن الكتب الخاصة فكثيرة منها:

- خزانة آل أبى اللطف بالقدس.

خزانة آل البديرى بالقدس. وأسرة البديرى أسرة عريقة كانت لديهم خزائن كتب مخطوطة تبدّدت بعد أن اقتسموها. وآل قسم من مخطوطاتها إلى الشيخ محمد البديرى فجعلها فى جناح من أجنحة المسجد الأقصى.

- خزانة آل الترجمان بالقدس.
- خزانة آل الجوهرى بنابلس.
- خزانة آل الحسينى بالقدس.
- خزانة آل الخالدى بالقدس.

- خزانة آل الخليلى بالقدس. وقد وقفها الشيخ محمد بن محمد

الخليلى مفتى الشافعية المتوفى سنة ١١٤٧هـ/١٧٣٤م. ويقال إن الشيخ الخليلى أول من حقق فكرة إيجاد مكتبة عامة فى القدس استناداً إلى وقفية كتبه. وقد حفظت الكتب المذكورة فى المدرسة البلدية التى كان أنشأها بباب السلسلة نائب السلطان الأمير سيف الدين منكلى بغا الأحمدى المتوفى سنة ٧٨٢هـ/١٣٨١م.

- خزانة آل الدّاودى بالقدس

- خزانة آل صوفان بنابلس وفيها مخطوط نفيس عنوانه: «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» من تأليف الحافظ ابن الجوزى مؤرخ سنة ٥٩٩هـ.

- خزانة عبد الله مخلص (١٨٧٨ - ١٩٤٧م) بالقدس فى حى الشيخ جرّاح، وقد حوت نفائس المخطوطات. ويبدوأن المكتبة نقلت بعد حوادث ١٩٤٨ إلى بعض الأديرة التى قرب سور المدينة من داخل. وقيل إن الصهيونيين نهبوها إبّان معارك ١٩٤٨.

- خزانة آل قطينة بالقدس بباب العمود: آل قطينة أسرة حنبلية يقال إنهم الحنابلة الوحيدون فى القدس. وفى الخزانة مخطوطات نفيسة فى الرياضيات والفلك والتنجيم لم يبق منها اليوم شىء.

- خزانة محمد إسعاف النشاشيبى بالقدس.

- خزانة محمود اللحام بضاحية سلوان (شرقى القدس) وفيها أربعة آلاف مصنف.

- خزانة آل فخرى وقد وقفها القاضى فخر الدين أبوعبد الله محمد

بن فضل ناظر الجيوش الإسلامية المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م. وهذه الخزانة قسم من الخانقاه الفخرية المجاورة لجامع المغاربة. ويقال إنها كانت تحتوى على عشرة آلاف مجلد اقتسمها أفراد الأسرة فتفرّقت كتبها.

- خزانة آل الموقت بالقدس.
- خزانة المفتى فى غزة.
- الخزانة الإسلامية فى يافا.
- خزانة أبى نبوت فى يافا.
- خزانة جامع الجزار فى عكا.
- خزانة جامعة بيرزيت.

وفى القدس وسواها من مدن فلسطين خزائن كتب مسيحية عربية وأجنبية أكثرها تابع للطوائف الدينية والبعثات الأثرية والتبشيرية الفرنسية والإنكليزية والأمريكية، ومنها:

- خزانة دير الكرمليين فى الضاحية الشرقية من حيفا، وفيها صكوك قديمة ذات علاقة بالدير.

- مكتبة القبر المقدس.

- مكتبة دير الروم، وفيها ٢٧٣٣ مجلداً باليونانية وغيرها بينها مخطوطات يونانية مؤرخة فى القرن العاشر للميلاد.
- مكتبة دير الدومينيكان.
- مكتبة الآباء البيض.

- مكتبة دير الفرنسيسكان.

- مكتبة دير الأرمن.

- خزانة الآثار الأمريكية.

- خزانة الآثار الإنكليزية.

- مكتبة المجمع العلمى الأثرى البروتستانتى.

- وتعد المكتبة الخالدية فى القدس أهم دور الكتب الخاصة فى فلسطين وأغناها. وكانت المكتبة مدرسة آلت ملكيتها إلى السيدة خديجة الخالدى ابنة القاضى موسى أفندى الخالدى قاضى عسكر بر الأناضول، فأوصت ولدها الحاج راغب الخالدى رئيس المحكمة الشرعية بيافا (المتوفى سنة ١٩٥١) أن يقفها وينقل إليها كتب الأسرة الخالدية. فنفذ وصيتها سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م بمشورة ومعونة الشيخ طاهر الجزائرى مؤسس المكتبة الظاهرية بدمشق والشيخ أبى الخير محمد ابن الحبال الدمشقى فوضعا فهرساً بأسماء كتبها. وقد جاء فى «برنامج المكتبة الخالدية العمومية» وصف للظروف التى تم بها تأسيس المكتبة وجعلها دار كتب عامة: «وفق الله جانب الفاضل راغب أفندى الخالدى وموسى شفيق أفندى الخالدى إلى تشييد غرفة رحبة على جادة باب السلسلة فى القدس الشريف وضعوا فيها كمية وافرة مما وجد عندهم من بقية كتب آبائهم وأجدادهم، وأضافوا إليها بعضاً من الكتب الموجودة عندهم أيضاً، وجعلوا الغرفة المذكورة دار علوم عمومية لمن يرغب المطالعة من أى فرد كان، وشرّطوا أن لا يخرج منها كتاب حرصاً على المنفعة العامة، وهى مفتوحة الأبواب لجميع الطلاب كل يوم من الصباح إلى المساء، وعيّنوا لها محافظاً أميناً».

وتحتوى المكتبة على عشرة آلاف كتاب ثلثاها مخطوط والثلث من نوادر المطبوعات القديمة فى العلوم العربية والإسلامية. وقد ضمّت إليها خزانتا الشيخ يوسف ضياء باشا الخالدى ومحمد روحى الخالدى، وضمّت بعدئذ إليهما خزانة الشيخ أحمد بدوى الخالدى بالإضافة إلى ما أهدى إليها من نفائس مطبوعات المستشرقين.

المزارات المسيحية المقدسة

منذ القرون الميلادية الأولى، انتشرت الكنائس فى فلسطين حيث عاش السيد المسيح وأمه السيدة مريم العذراء .. كما انتشرت أديرة النساك والرهبان خاصة فى القدس والكرمل والناصرة، وما زالت كنائس القدس قائمة، يدفعها إلى العمل تلك المنزلة الروحية التى حظ بها الأرض المقدسة. ومن أشهر هذه الكنائس:

كنيسة القيامة:

وتعد من أهم وأعظم الآثار المسيحية، وتمثل ذروة ترف البناء وفى تيجان الذهب والمجوهرات الكريمة النادرة، وكل ما فيها بلغ نهاية الروعة الفنية.

ومن الطريف أن سدنة كنيسة القيامة وحملة مفاتيحها: مسلمون ينتسبون إلى أسرة الصحابية الجليلة «نسيبة بنت كعب» وقد توارثت هذا الشرف منذ عصر صلاح الدين الأيوبى عقب اختلاف الطوائف المسيحية على إدارة الكنيسة، وتزدان الكنيسة بالقناديل والثريات الفاخرة وتتحلى بمجموعة من أندر الصور والأيقونات والتماثيل المرمرية.

وتمتد أمام واجهة كنيسة القيامة فى الجهة الجنوبية ساحة تقوم شرقها وغربها بنايات مختلفة من أديرة وكنائس صغيرة. وإذ يدخل المرء الكنيسة يصعد من عن يمينه إلى الجلجلة ويواصل من عن يساره السير إلى القبر المقدس الذى يحيط به بناء مسقوف فساحة مستديرة تحدق بها أعمدة كبيرة تسند رواقاً عظيماً. وأمام القبر المقدس يقوم محور المكان كله. وهوالمسمى خورس الروم، أوكنيسة نصف الدنيا التى يحيط بها رواق طويل بجانبه معابد صغيرة ويؤدى شمالاً إلى كنيسة الآباء الفرنسيسكان وديرهم وينزل منه شرقاً إلى كنيسة القديسة هيلانة ومغارة وجدان الصليب.

وقد شهدت كنيسة القيامة خلافات بين الروم الأرثوذكس واللاتين خلال الاحتلال الصليبى، حتى تمكن اللاتين من السيطرة عليها، إلى أن أعادها السلطان صلاح الدين إلى الروم الأرثوذكس، إلا أن الخلافات استمرت بين الطوائف المسيحية، ولذا قام الحكام المسلمون بتنظيم ملكية الطوائف بكنيسة القيامة ومنع الصادامات فى أحقية إحداها فى دخول القبر المقدس يوم سبت النور، فعقد مجلس بدار المحكمة الشرعية سنة ١٥٤٢ برئاسة مجموعة من القضاة المسلمين وبحضور ممثلى الطوائف، وحدد المجلس طريقة الدخول إلى القبر المقدس ومواعيد الزيارة.

بطريركية الروم الأرثوذكس

بالقرب من كنيسة القيامة. وكان الموضع مركز ملوك القدس أيام الصليبيين. ويعود البناء إلى أزمنة مختلفة. ويمكن أن ينزل من طرف سطح الدير الشرقى إلى القبر المقدس. وللرهبان الذين يخدمون فى

الكنيسة مساكن فى القيامة عينها. وإلى ذلك فعند ساحة القيامة شرقاً دير هو دير القديس إبراهيم الذى اشتروه سنة ١٦٦٠م من الأحباش وأكملوه وعثروا تحته نحوسنة ١٦٩٠ على كنيسة قديمة تعرف بكنيسة الرسل.

دير الآباء الفرنسيسكان:

وينسب هذا الدير إلى مؤسسة القديس «فرنسيس الأسيزى» الذى ولد بمدينة» اسيزى» الواقعة بمقاطعة «اومبريا» الإيطالية عام ١١٨٢م، وتوفى بها عام ١٢٢٦م.

وهو«أكمل صورة للمسيح» على حد قول أحد البابوات، ومن أقرب القديسين إلى قلوب المسيحيين. وقد زار القديس فرنسيس فلسطين سنة ١٢١٩م. وقبل ذلك بسنتين (١٢١٧م) أنشأ» مقاطعة الأرض المقدسة» ، وسميت» حراسة» ، وأرسل أول رهبانية إلى البلاد.

على رأس الرهبان الفرنسيسكان» حارس الأراضى المقدسة» ومجلسه، وينتمى هؤلاء إلى ٢٢ دولة وتعمل إلى جانبهم الراهبات الفرنسيسيات. وكانت مهمتهم الأولى، ولا تزال، العناية بالأماكن المقدسة، وعددها أربعون مقاماً، واستقبال السياح وخدمتهم. ولهم فى أبرشية القدس ١٤ رعية. ومن أعمالهم الاجتماعية والثقافية رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية والدروس والأبحاث العليا والأندية والمراكز المهنيّة والمياتم وبيوت الفقراء والمرضى. وقد أسّسوا سنة ١٨٤٧م مطبعة تعدّ من أهم المطابع فى القدس.

دير السلطان:

منذ قديم الزمان، جرى العرف على إطلاق أسماء القديسين على الأديرة المسيحية .. وهذا الدير، هوالوحيد الذى يحمل اسماً إسلامياً .. وهناك رواية بأن السلطان صلاح الدين قد وهبه لأقباط مصر، فنسبوه إليه عرفاناً بفضله، ويشير ويليامز السائح Williams أنه لما زار الدير سنة ١٨٤٣ روى له قسيس بأن أحد سلاطين المماليك عرض على كاتبه القبطى نظير إخلاصه فى خدمته مدة طويلة مكافأة مادية، فاعتذر عن قبولها، والتمس أن يسمح له بتعمير الدير الخرب بالقدس، ومن هنا جاءت التسمية!..

وقد حافظ الأقباط على هذا الدير. ولم ينتزع منهم إلا عندما احتله الرهبان اللاتين إبان الاحتلال الصليبى للقدس، ولكن صلاح الدين أرجعه إليهم بمجرد دخوله القدس، وفى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب أمر بإعادة بناء سوره، كما أمر الملك المنصور قلاوون (١٢٩٠) بألا يمنع الأحباش من دخول هياكل القيامة أودير السلطان، بناء على طلب ملك الحبشة، لأن اللاتين الموجودين هناك كانوا يضايقونهم. وليس معنى هذا ملكية الأحباش لهذا الدير، لأن رتشموند - الذى كان مديراً لمصلحة الآثار بفلسطين - أيام الإنتداب البريطانى - قد ذكر أنه منذ سنة ١٤٠٠ كان للأقباط حقوقهم بمقدسات القيامة.

كنيسة الصعود:

عند جبل الزيتون (الطور) ثلاث قمم .. الشمالية منها تسمى: جبل الجليل، وعليها بيت أسقف أريحا للروم وتسمى هذه القمة «كرم الصياد»

.. وعلى القمة الثانية نجد« مكان الصعود» وترتفع عن مستوى الحرم الشريف بنحو ستين متراً وتبعد عنه مسافة سبعمائة متر .. والقمة الثالثة تضم قبور الأنبياء وهى فى مستوى الحرم .. ويذكر الرحالة «تيوفيتوس» فى يومياته أن القديسة هيلانة شيدت كنيسة محل الصعود. وذكر غيره أنها أقامت أيضاً بناءً، آخر دعى الزيتونات عند المغارة التى تنبأ عندها المسيح بخراب أورشليم ومجيئه الثانى. وليس لهما أثر واضح حالياً، إذ تعرضا للتدمير أثناء معركة قامت بين الصليبيين وصلاح الدين هناك، ولم يبق من الكنيسة سوى قبة صغيرة تركها صلاح الدين لأن المسلمين يحترمون مكان الصعود، حيث يؤمنون بأن المسيح رفع حياً إلى السماء، وقد حصل الأقباط على أذونات كتابية بالصلاة فى الجانب الشرقى، من القضاة والحكام المسلمين فى أزمنة مختلفة، كذلك منح هؤلاء، إذناً بالصلاة مرتين فى السنة وهوما يتم حتى الآن.

وأما الصخرة التى صعد المسيح منها إلى السماء فيبدو عليها أثر لإحدى قدميه، وكانت محاطة بسور معدنى. وفى القرن ١١م بنى البندكت جداراً حولها، وتقام هناك مذابح مؤقتة للطوائف تقدم عليها الصلاة عشية عيد الصعود من كل عام.

كنيسة نياحة البتول وطريق جنازتها:

على بعد عشرين متراً من باب النبى داود (فى السور الجنوبى). نجد عموداً على حائط. تذكاراً للأعجوبة التى حدثت عندما كان تلاميذ المسيح حاملين جسد السيدة العذراء مريم إلى قبرها فى الجثمانية فى شرق القدس إذ هجم عليها بعض اليهود المتعصبين. وتجاسر أحدهم

على أن يدفع التابوت المقدس من يد حامليه فيبست يده فى الحال. كما عميت عيناه وكل من كانوا يشاركونه هذا الفعل الردئ. ولكنهم ندموا على عملهم. فصلى التلاميذ من أجلهم فشفاهم الله وآمنوا بالمسيحية. وقد روى مؤرخ أرمنى فى القرن الخامس أنه كانت هناك - فى هذا المكان - قبة على أربعة أعمدة من الرخام فوقها صليب نحاسى، تهدم أثناء هجوم الفرس سنة ٦١٤م. وبعد عشرة أمتار نجد كنيسة نياح البتول. وهى كنيسة حديثة البناء يسكنها الرهبان البندكت الألمان. وتقع بالقرب منه علية صهيون (بيت مارمرقس) وهوالمكان الذى عاشت فيه العذراء فى بيت يوحنا الرسول، (بناء على طلب المسيح) حتى نياحتها. وكان الإمبراطور الألمانى غليوم الثانى قد اشترى هذا المكان، ووهبه للرهبان الألمان الكاثوليك «البندكت».

دير البندكتين:

ينتسب البندكتيون إلى القديس بندكتس Benedictus أومبارك Benoit (٤٨٠ - ٥٤٧م)، الذى يعد «أبا رهبان الغرب» وأحد منظمى الحياة التقشفية فى القرون الوسطى.

ويقوم الدير على جبل صهيون الحالى فى بستان «النياحة» حيث بنيت كنيسة مريم العذراء ذكراً للأيام الأخيرة من حياتها. وقد قدم المكان السلطان عبد الحميد لغليوم الثانى إمبراطور ألمانيا سنة ١٨٩٨م فجعله هذا ملكاً للكاثوليك. فبنى الألمان الكاثوليك هناك (١٩٠٠م) ديراً وكنيسة على اسم «رقاد العذراء» مستديرة وفق فنون مختلفة من الهندسة. وفى سنة ١٩٠٦ سلم الدير والكنيسة إلى البندكتيين الألمان

فزينوا الكنيسة بالفسيفساء، وجعلوا منها مزاراً جذاباً، واشتهروا بالنشاط الأدبى والعلمى والهندسة والصناعة، وأقاموا متحفاً فلسطينياً.

وفى حرب ١٩٤٨ احتل الجيش الإسرائيلى الدير والكنيسة وحل الدمار والنهب بهما وبالمتحف. فأكره الرهبان على مغادرة الدير!

- طريق الآلام : وهوالطريق الذى سار فيه السيد المسيح من قصر بيلاطس حتى الجلجثة، ويعبر المدينة المقدسة من الشرق إلى الغرب. وفى صباح كل يوم جمعة، يقوم الحجاج المسيحيون من مختلف الأجناس يقودهم رهبان فرنسيسكان، باقتفاء آثار هذه الخطى بدءاً من كنيسة الجلد وانتهاء بكنيسة القيامة، وتنقسم أعظم طريق قدسية إلى أربع عشرة مرحلة، وتشير كل مرحلة إلى حدث وقع فى المكان أثناء السير الأخير للسيد المسيح قبيل صلبه، فتسعُ من هذه المراحل تقع على امتداد طريق الآلام وخمس داخل كنيسة القيامة.

وللروم الأرثوذكس بالمدينة المقدسة ١٩ ديراً للرهبان وخمسة أديرة للراهبات، ويطلق على هذه الرهبانية «أخوية القبر المقدس».

كنيسة المهد ببيت لحم :

استمدت» بيت لحم» أهميتها وشهرتها العالمية من مولد السيد المسيح فيها، وقد وضعته السيدة مريم العذراء فى مذود فى مغارة قريبة من القرية ..

فى حوالى سنة ٣٣٠م شيد الإمبراطور الرومانى «قسطنطين» كنيسة فوق المغارة، سميت بكنيسة القديسة مريم .. وفى رواية أخرى،

أن القديسة «هيلانه» أم الإمبراطور قسطنطين هى التى شيدت هذه الكنيسة، وظلت قائمة حتى عام ٥٢٩م عندما دمرها السامريون خلال ثورتهم على الإمبراطورية الرومانية، فأعاد الإمبراطور «جوستنيان» بناءها بشكلها الحالى تقريباً وأصبحت تسمى «كنيسة المهد» .

وقد شيدت هذه الكنيسة على الطراز البازليكى، ويزدان صحنها بأربعين عموداً من الرخام الفاخر، بكل جانب صفين من الأعمدة وطول كل عمود ستة أمتار تنتهى بتيجان، وينقسم الصحن إلى خمسة أروقة، وسقفها من الخشب، ويرتفع فوق الأعمدة حائطين لمسافة عشرة امتار، يزينهما أحد عشر شباكاً، وبالكنيسة هيكل أوسط له حنية شرقية، كما هوالحال فى الكنائس القبطية القديمة .

مغارة المهد :

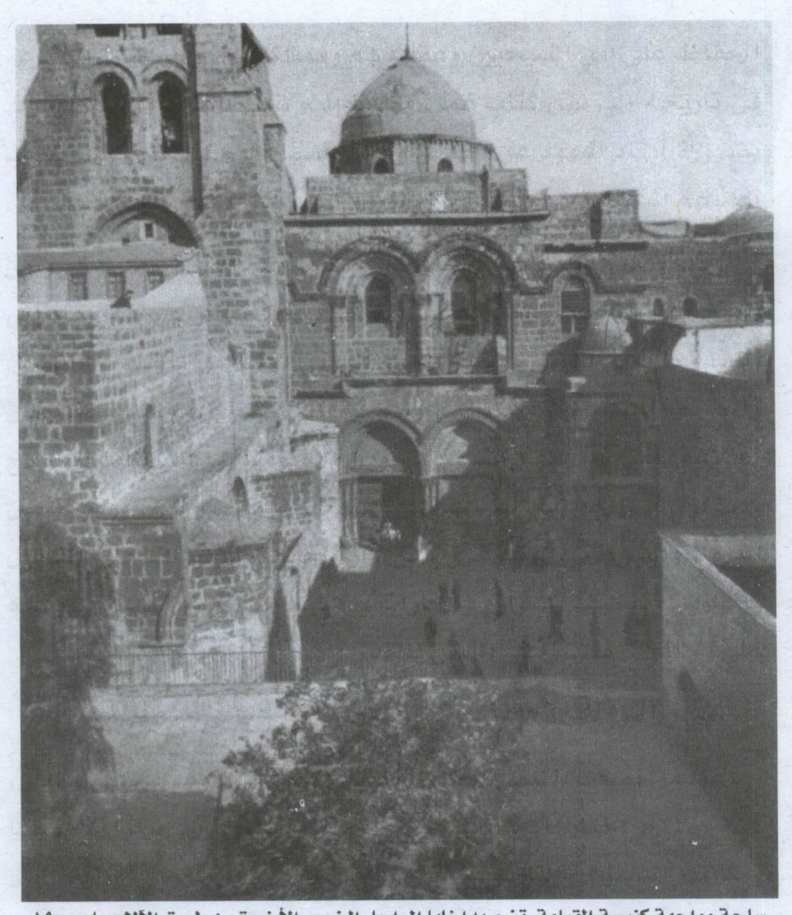
يهبط إليها بدرجات حجرية، ولما كانت المغارة من صخر جيرى لين فقد تم تدعيمها بالعقود، فضاقت حتى اصبحت مساحتها ١٢,٥ × ٣ أمتار .. وإلى الشرق نجد تجويفاً مستديراً يشير إلى مكان ميلاد السيد المسيح . وأرضيتها مرصوفة بالرخام الأبيض تتوسطه نجمة مسمرة، منقوش عليها باللاتينية (منذ عام ١٧١٧) عبارة : (هنا قد وُلد يسوع المسيح من العذراء مريم) .

وفى آخر المغارة من الجهة الشمالية نجد بابًا يقود إلى هيكل القديس يوسف النجار، تذكاراً للحلم الذى رآه هناك ودعاه الملاك إلى الهرب إلى مصر .

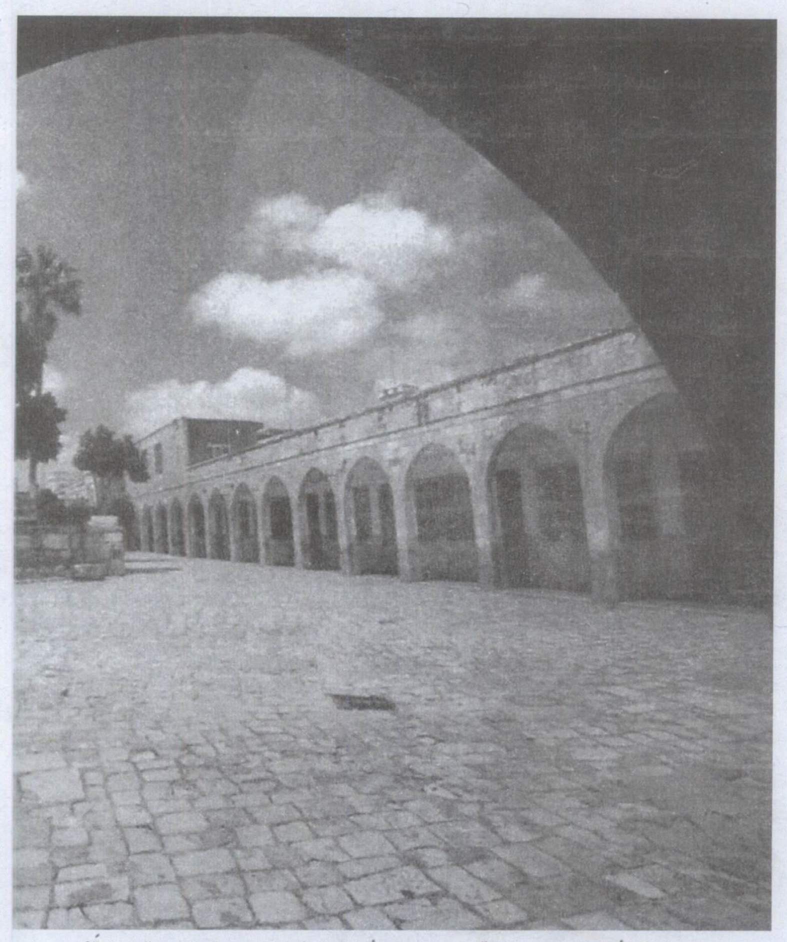
محراب ومنبر مسجد قبة الصخرة عام ١٨٧٠



مشهد عام للحرم القدسي الشريف يتوسطه مسجد قبة الصخرة عام ١٩٠٠



ساحة وواجهة كنيسة القيامة تضم بداخلها المراحل الخمس الأخيرة من طريق الآلام عام ١٩٠٠



المرحلة الأولى من «طريق الآلام» .. حصن أنطونيا (مقر المدرسة العمرية حالياً)

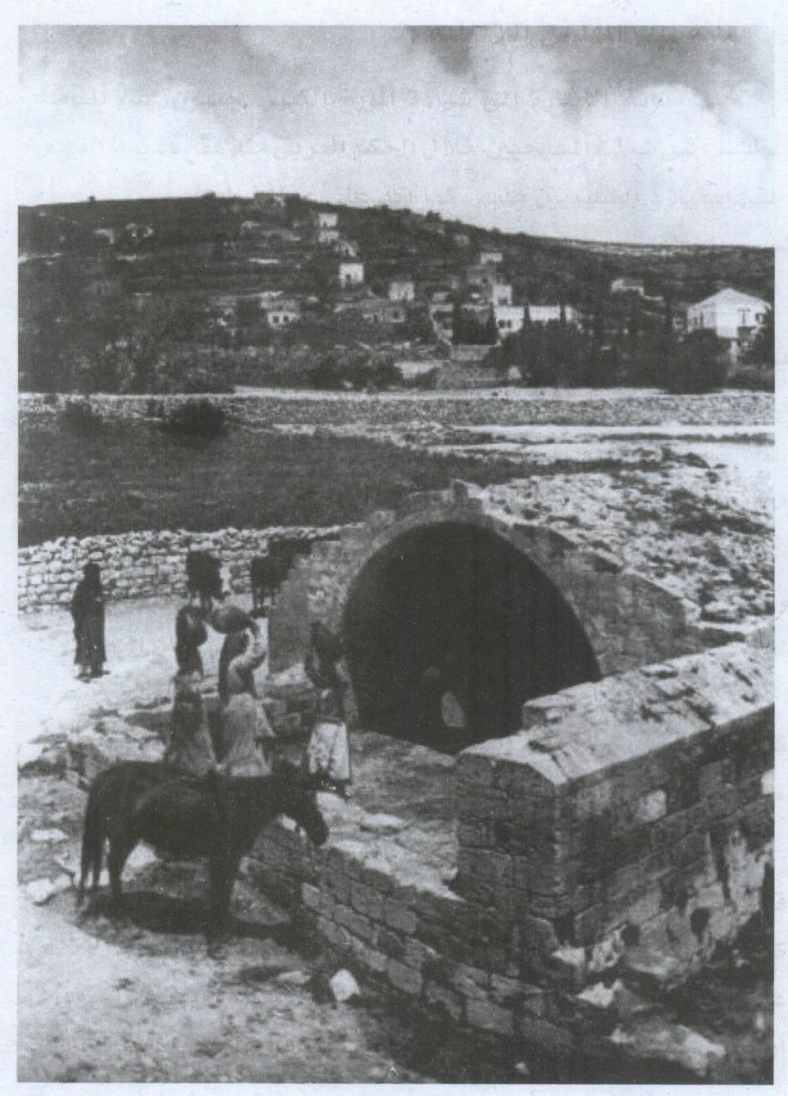


قبة الصعود

منبر القاضى برهان الدين .. شيد من الرخام الأبيض تجاه البوابة الجنوبية لقبة الصخرة ويصلي فى هذا المكان صلاة العيدين والاستسقاء عام ١٨٨١



مشهد عام لبرج الملك الأيوبي داود بن عيسى المعظم وباب يافا وبرج الساعة عام ١٨٧٠



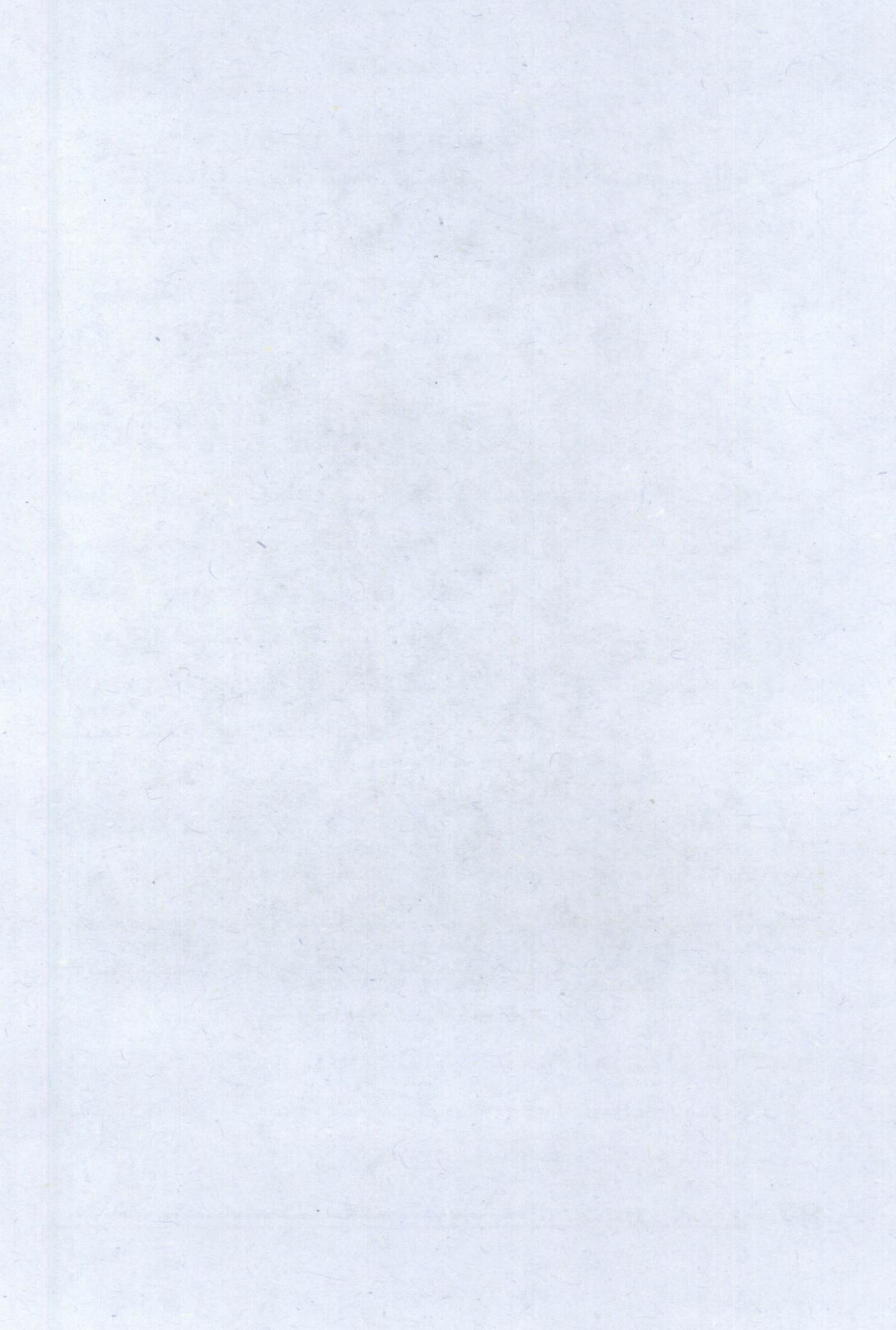
عين سلوان الشهيرة عام ١٨٨١



الدرج المؤدى إلى القبر المقدس وهيكل الملاك داخل كنيسة القيامة عام ١٨٨١



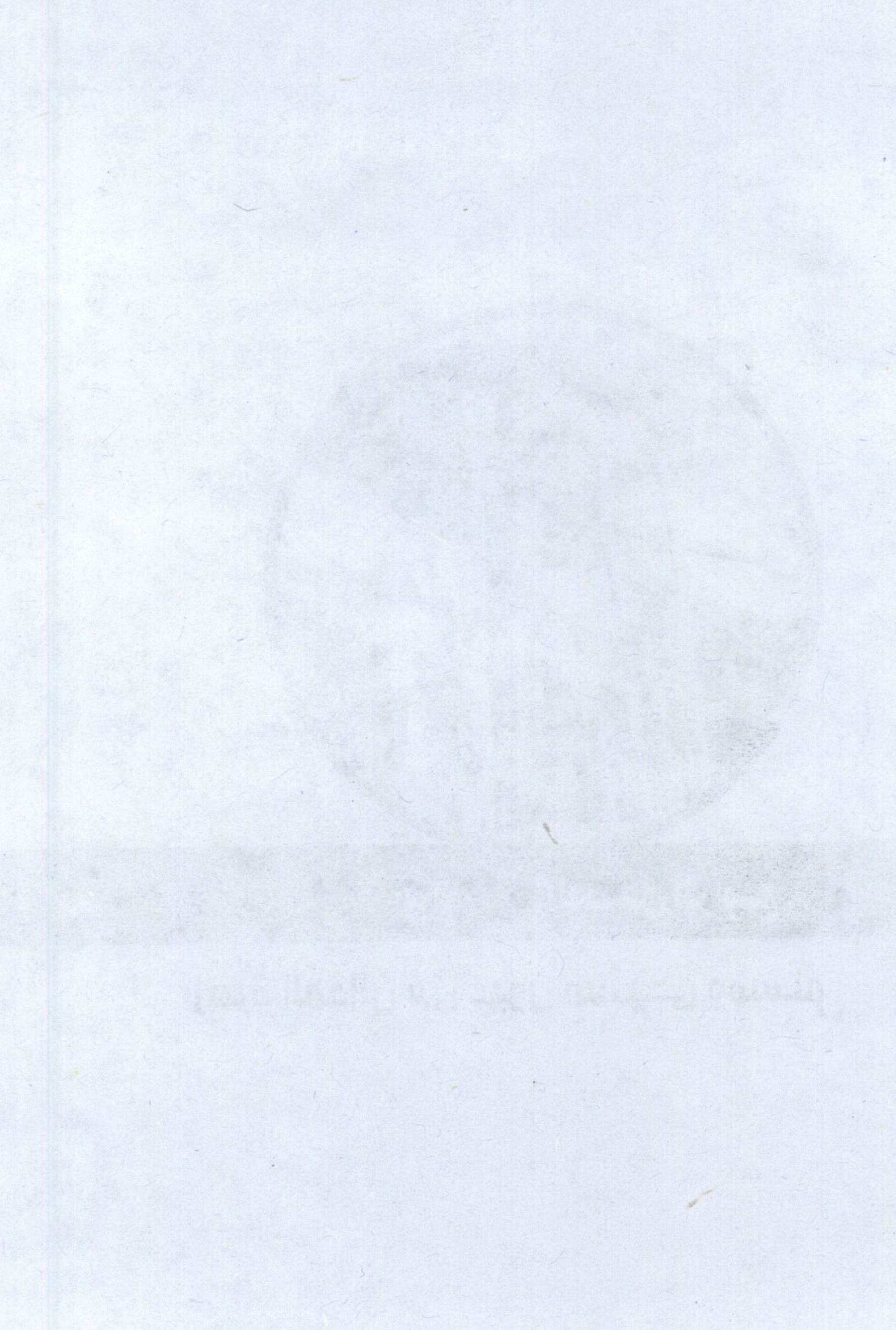
مكتبة الخالدية - أشهر مكتبات القدس عام ١٩٠٠





الفصـــل الرابـــع

زهرة المدائن فى عيون مسيحى ومسلم



المكانة الدينية العظيمة لزهرة المدائن فى نفوس المسلمين : يؤكدها كثرة من رحل إليها من الرحالة الرواد ورواة الحديث والمؤرخين، وسجلوا مشاهداتهم وإنطباعاتهم عنها، كذلك رحل إليها كثيرمن العلماء المسلمين للتعليم وطلب العلم ولقاء علماء القدس والأخذ عنهم .

كذلك نشطت لدى المسيحيين فكرة الحج إلى المزارات المقدسة التى شرفها السيد المسيح فى القدس والناصرة وبيت لحم، فتوافد إليها على مر العصور الرحالة والحجاج المسيحيون وأساقفة ورهبان، وكثيرمنهم دونوا مشاهداتهم فى مؤلفات أجمعت على المكانة لتلك المزارات المقدسة .

وتجدر الإشارة أيضاً، إلى توافد كثير من الفنانين المستشرقين الذين سجلوا بريشاتهم مشاهد «بانورامية» للقدس العتيقة وعلى رأسهم «دافيد روبرتس» و«تيودور فرير» و«بارتليت» و«باورنفيد» .. وأبرزت إبداعاتهم جبال القدس وغابات الزيتون ومضارب البدو، وبالطبع مجموعة الحرم القدسى الشريف والمزارات المسيحية المقدسة، ومشاهد من الحياة اليومية للفلسطينيين وأزيائهم التقليدية .

كما كانت القدس من باكورة المدن التى إستقطبت فن التصوير الفوتوغرافى بدءاً من عام ١٨٤١ وشكلت مجموعات «ماكسيم دوكان» و«فرانسيس فريث» و«سيبا» و«بونفيس» .. وأهمية خاصة ووثائق تاريخية صادقة الملامح للقدس والمقدسيين وطابعها العربى المميز .

وبعيداً عن نصوص الرحالة التقليدية وأهميتها، فقد فضلت وتخيرت إنطباعات مقدسية حديثة، وبالتحديد فى عهد الإنتداب البريطانى :

القدس كما عرفها د. نقولا زيادة

د. نقولا زيادة كاتب ومؤرخ لبنانى شهير، من أصل فلسطينى، عاش ودرس فى القدس ما بين عامى ١٩٢١ – ١٩٤٧، سجل إنطباعاته المقدسية عن هذه الفترة، فكتب : «عرفت القدس لنحو ربع قرن تقريبًا بين سنتى ١٩٢١ و١٩٤٧. لكن هذه الفترة يمكن تقسيمها إلى ثلاث : أولاها طالب علم فى دار المعلمين ١٩٢١-١٩٢٤ ؛ وثانيتها زائر زيارات متتابعة أثناء عملى فى مدرسة عكا الثانوية ١٩٢٥-١٩٣٥ ؛ وثالثتها مقيم فى القدس، أستاذا فى الكلية العربية ١٩٣٩-١٩٤٧. وكان لكل من هذه الفترات سبيل للتعرف على القدس يختلف اختلافًا جذريًا عنه فى الأخريين» .

بعد دخولنا دار المعلمين عام ١٩٢١ بنحوأسبوعين تقريبًا، قال لنا مدير دار المعلمين الدكتور خليل طوطح إنه سيرافق الطلاب الجدد جماعات لزيارة المدينة بقصد التعرف على معالمها.شعرت بمنتهى الغبطة لذلك الإعلان.كانت الزيارة الأولى لسور القدس. هذا السور بناه السلطان سليمان القانونى سنة١٥٤٣. كانت ثمة أجزاء صغيرة من الأسوار تعود فى تاريخها إلى فترات سابقة،لكن الصيغة الأساسية هى تلك التى تمثل عناية السلطان سليمان بالمدينة المقدسة.

كان سور القدس لا يزال قائما، درنا حوله من الخارج حينا ومن الداخل حينًا،ودخلنا من بوابة وخرجنا من أخرى.

خرجنا من مبنى دار المعلمين وسرنا بضع دقائق فوصلنا باب الزاهرة (الساهرة)، وهوأحد الابواب فى الجهة الشمالية من السور. لم ندخل المدينة ولكننا جارينا السور من الخارج متجهين غربًا، فوصلنا بعد دقائق

باب العمود. وله اسم آخر هوبوابة دمشق، لأن الطريق الذى يبدأ عنده ويتجه شمالاً كان، فى نهاية المطاف، يصل بالمسافر إلى دمشق. بعد بضعة أمتار من باب العمود ندور بزاوية السور، ونصعّد فى اتجاه شمالى جنوبى فى شارع السلطان سليمان إلى الزاوية الجنوبية الغربية من السور، مارين بالباب الجديد الذى فتح أيام عبد الحميد الثانى (١٨٧٦-١٩٠٩).ذلك أن المنطقة المصاقبة للسور من الداخل كانت قد ازدحمت بالسكان والمدارس، وأصبح الوصول إليها من الأبواب الأخرى شاقا، فكان فتح هذا الباب تيسيرًا لأعمال السكان.

بعد الباب الجديد ببضعة أمتار نصل إلى الزاوية الجنوبية الغربية للسور إذ بعدها يتجه السور شرقا مع ميل نحوالجنوب حتى يصل باب الخليل (الذى كان يسمى بوابة يافا، لأنه يؤدى فى نهاية المطاف إلى يافا على الساحل)، وفيها كان يتم انتقال السكان القادمين بحرًا، زائرين للأراضى المقدسة أصلا، وتجارا ورسلا سياسيين إلى البلاد فيما بعد.

فى الجهة الجنوبية من السور يقع باب رئيسى هو باب داود. هذا الباب كان يصل أرباض القدس الخارجية بالداخل.ويسمى أحيانًا، عند الطوائف المسيحية«باب العليّة» . ذلك بأن العشاء الأخير الذى أعد للسيد المسيح،والذى قبض فيه عليه لمحاكمته والحكم بصلبه، أقيم فى قاعة كبيرة فى الدور الثانى مما يسميه أهل القدس« عليّة» .

دخلنا من باب الخليل إلى ساحة القلعة حتى وصلنا باب داود ثم سرنا داخل المدينة محاذين لساحة الحرم الشريف، إتجهنا شمالاً ثم إستدرنا غربًا، فإذا نحن مرة ثانية أمام باب الزاهرة . تسلقنا السور حيث

يمكن،وأشرفنا على جزء من المدينة القديمة.

كانت الزيارة الثانية لساحة الحرم الشريف.والدكتور طوطح كان يعرف تاريخ القدس، وقد وضع كتابا فى تاريخها بالاشتراك مع بولس شحادة صاحب مرآة الشرق. ومن هنا كانت رفقته فى زيارة القدس أكثر من مجرد وقوف على الأطلال.

يومها رأيت للمرة الأولى أثرًا عربيًا إسلاميًا مطعمًا بالفن البيزنطى فى قبة الصخرة المشرفة، وتخطيطا لجامع كبيربناه عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى كى تبدوعظمة الإسلام لزائرى المدينة المقدسة.

أما الزيارة الثالثة، فكانت إلى كنيسة القيامة، التى بنتها الملكة هيلانه أم الإمبراطور البيزنطى قسطنطين (٣١٢-٣٣٧)، وهوالذى اعتنق المسيحية، وجعلها أولاً دينًا من الأديان المعترف بها فى الإمبراطورية، ثم اتُخذت فيما بعد، دين الدولة الرسمي. جاءت هيلانه لزيارة الأرض المقدسة، وبنت كنيسة، حيث ولد المسيح فى بيت لحم وأخرى ضخمة فى القدس.

لا يتسع المقام هنا لوصف مفصل لكلا المكانين كنيسة القيامة وساحة الحرم الشريف. والذى قصدته أنا من هذه الرواية إنني، أنا شخصيا، أخذت بالفن الذى تمثل فى مبنيين رئيسييّن للمسيحية والإسلام. شغفت بالمكانين، وما أكثر ما زرتهما، وأنا تلميذ فى دار المعلمين. كنت أحمل معى كتابًا وأذهب إلى ساحة الحرم أجلس على الأرض راكزًا ظهرى على جدار الصخرة أوالمسجد الاقصى، مستمتعا بالهدوء والطمأنينة، التى كانت تمثلهما أسراب الحمام التى تطير فى الأجواء، وتبدوكأنها تسبح فى

عالم الأحلام - مثلى أحيانا .

أما كنيسة القيامة فكنت أذهب للصلاة فيها، لكن لأن القداس، بما فيه قراءة الإنجيل، كان يتم باليونانية، فقد عزفت عن زيارة العبادة. ولكن فى إحدى السنوات قضيت أربعًا وعشرين ساعة داخل كنيسة القيامة لأحضر الطقوس الدينية المتعلقة بالسيد المسيح . وكانت تجربة لا يمكن أن تنسى . لكن القدس التى عرفتها تلك السنوات لم تقتصر على زيارة المكانين المقدسين،وهما ليسا القدس كلها .

لندخل الآن إلى قلب المدينة المقدسة. كنا ننتقل من المدرسة إلى باب العمود لندخل إلى المدينة.هناك كنت اجتاز شارعا مهمًا - باب أوشارع خان الزيت، هذا يبدأ بعد دخولك باب العمود بنحوخمسين مترا.

هوشارع مسقوف بزجاج أصفر قليلاً، بحيث يمكن للنور أن يدخل اليه. كان الشارع ضيقا ومبلّطا، ولم يكن يسمح للخيل أوالجمال بالمرور فيه - حتى الحميركانت تجتازه على مضض .

فى هذا الشارع مطاعم يلجأ إليها القادمون من الريف لقضاء حاجاتهم، وكانت فى هذا الشارع حوانيت لكل ما يحتاج إليه الرجل العادي، وكان زبائنه خاصة من أهل الريف المقدسي، كان هؤلاء يقصدون القدس يوم الجمعة للصلاة فى المسجد الأقصى . وعندها يمرون بهذا الشارع ليبتاعوا حاجاتهم على اختلاف أنواعها – ثيابًا، أدوات منزلية، مواد غذائية وأشياء لا توجد فى القرى .

الشارع يبدوطويلاً، إذ إنه يجدر بك أن تسيروئيدًا كى لا تؤذى. وكان

فى نهايته طريقان: واحد إلى اليمين يوصلك إلى كنيسة القيامة والآخر إلى اليسار يحملك إلى الحرم الشريف.

فإذا خرجت من ساحة كنيسة القيامة صعدت بضع درجات يمينا لتجد نفسك أمام سوق يباع فيها كل ما يأمل الزائر أن يحمله معه من آثار الأرض المقدسة: من مجسمات لكنيسة القيامة وكنيسة المهد إلى صلبان أنيقة الصنع إلى لوحات رسمت أونقشت عليها صور القديسين وكنائس القدس وبيت لحم، إلى مسابح لا يحصى لها عدد، إلى الكتاب المقدس مجموعًا أومجزءًا يضمه ويحنوعليه غلاف من خشب الزيتون أوالصدف. وهذا كله لا يعدوأن يكون أمثلة لما تجد هناك. وفى الأسبوع السابق ليوم الفصح كانت الشموع المختلفة الحجم والزخرف تزين الحوانيت هناك.

وأنت إذا انتهيت من هذه الفسحة المحدودة وجدت نفسك فى سوق حارة النصارى. هذه السوق كنت تجد فيها كل ما يلزمك أو زوجك من القماش أوالأثواب الجاهزة . وكان فيها محلان لكى الطرابيش!

ولنخرج من باب الخليل: عندها يبدأ شارع يافا، الذى كان يجارى سور القدس. شارع يافا كان أول منطقة انتقل إليها تجار المدينة القديمة - وكان ممن انتقلوا اليها «ميشيل مَنّه» الذى ابتعت من محله بدلة للتخرج ١٩٢٤، كما نقل إليه عدد كبير من الحوانيت التى أصبحت تحتل أماكن أوسع وأصبحت أجمل ترتيبا.

بالنسبة لى كانت هناك مكتبة فلسطين العلمية لصاحبيها بولس ووديع سعيد (وهذا الأخير هووالد الدكتور إدوارد سعيد الكاتب والناقد والمفكر والسياسى المعروف) .

ومن أطرف المقاهى التى سمعت عنها فى القدس يومها مقهى البرستول، الذى كان خلف السور مباشرة وقد ثقب السور خصيصًا للوصول إليه. هذا، الذى عرفته فيما بعد، كان مطعمًا وبارًا على النمط الإنجليزى . فى نهاية سور القدس المصاقب لشارع يافا كانت ساحة صغيرة تسمى ساحة البوسطة(فيما بعد ساحة اللنبى)وفيها يقع المطعم الوطني، الذى عرفته مباشرة أثناء زياراتى المتكررة إلى القدس من عكا .

وما دمنا قد أصبحنا خارج السور فلنتحدث عن ضواحى القدس . ونحن إذا بدأنا فى الجهة الشمالية الشرقية، وجدنا وادى الجوز، الذى يبدوأن سكانه، وقد خرجوا من المدينة القديمة،كانوا من أصحاب الأعمال الصغيرة أوالمتوسطة، لكن عندما نتجه غربًا، نقع على حى الحسينية الذى يقوم على تلة مرتفعة قليلاً وتزينه بيوت قليلة لكنها جميلة. وهناك كانت تقع مبانى دار المعلمين المتواضعة .

وبعد هذه المبانى - إلى الشمال منها - كان يقوم مبنى كبير هوالمدرسة الأمريكية للدراسات الأثرية.وإلى الشمال من حى الحسينية يقع حى الشيخ جراح، الأقل مساكن، ومن سكانه إسعاف النشاشيبي،ولكنه الحى الذى نما على نحوسريع فى السنوات التالية.

وأكبر حى خارج السور فى الشمال كان حى المصرارة،الذى يصله باب العمود بداخل المدينة. كان الأكثر ازدحامًا وتنوعًا سكانيًا،ويكاد يتمتع ببعض الاستقلال من حيث حوانيته،التى كانت تلبى حاجات السكان الأساسية.وأكبر معالم هذا الحى المدرسة الدستورية،التى أنشأها خليل السكاكينى سنة ١٩٠٩، تيمنا بإعادة الدستور ١٩٠٨ .

وكانت ثمة مدارس ثانوية فى القدس، بعضها كان يعود تأسيسه إلى أواسط القرن التاسع عشر. منها مدرسة سانت جورج (مدرسة المطران)، التى كانت تقوم على نظام المدارس الداخلية فى إنجلترا من حيث التدريس والعناية بالأخلاق والنظام والرياضة . كان مديرها يومها رينولدز،الذى تولى إدارتها نحوثلث قرن.

وفى الجهة الغربية من القدس، وعلى مسافة ليست باليسيرة كانت تقوم مدرسة شنلّر الالمانية، التى أنشئت سنة ١٨٦٢ واسمها الرسمى دار الأيتام السورية.

وتعتبر مدرسة الفرير النموذج الفرنسى للتربية والتعليم فى القدس. وهى واحدة من عشرات المدارس، التى فتحتها منظمة الفرير الكنسية فى أنحاء العالم . وكانت للبنات كلية مس روبرتسون (المدرسة الإنجليزية للبنات) .

كما كان فى القدس مدرستان أخريان مهمتان للبنات : الأولى ألمانية هى مدرسة شميت والثانية فرنسية هى كلية ماريوسف .

أما المدارس العربية فالرسمية منها كانت المدرسة (الكلية فيما بعد) الرشيدية التى أنشئت فى أواخر العهد العثماني، وتولت إدارة فلسطين البريطانية شئونها بعد الحرب. وكانت هناك روضة المعارف وهى مدرسة عربية خاصة. وقد أنشأ المجلس الشرعى الإسلامى الأعلى الكلية الإسلامية التى كانت تعنى بإعداد الموظفين الذين يعملون فى المحاكم الشرعية أومع المحامين الذين يتعاملون معها.

وفى مقابل دار المعلمين كانت ثمة دار المعلمات التى أنشئت فى بدء عهد الإدارة البريطانية.

كانت «مرآة الشرق» لبولس شحادة وبيت المقدس لبندلى مشحور تصدران فى التدس (جريدة الجامعة العربية صدرت١٩٢٥).

كان للقدس من قبل دور علمى كبير على نحوما كانت عليه كبرى المدن فى العالم الإسلامي.وقد خرّجت هذه عددًا من العلماء والأدباء والشعراء، كما أن عددًا من علماء بيت المقدس تلقوا العلم فى الأزهر الشريف لكن سنى الحرب العالمية الأولى، أخرت هذه النواحي.وكان لا بد أن يمر بعض الوقت قبل ان تعود إلى المدينة مكانتها العلمية .

ونشأت جمعيات جديدة ونشطت القديمة.الجديدة كان جمعية الشبان المسلمين، ونشط النادى اللاتينى بعض الشيء واستمرت جمعية الشبان المسيحية فى نشاطها .

وكانت تقوم دار واحدة عربية للسينما فى منطقة باب العمود يوم كنت تلميذًا فى القدس كان اسمها سينما القدس الكبيرة . وقد احترقت سنة ١٩٢٣ . وظلت القدس العربية خالية من دار للسينما . إلى أن فتحت أول دار سينما عربية سنة ١٩٢٥ وحضرت فيها فيلم الوردة البيضاء لعبد الوهاب ..!

أحمد رمزى بك .. وانطباعات مقدسية

كان «أحمد رمزى بك» قنصلاً عاماً لمصر فى تركيا، كما كان قنصلا عاما فى سوريا ولبنان، ثم صدر القرار الملكى بتعيينه قنصلا عاما لمصر فـى القدس وعموم فلسطين، بالاضافة الى شهرته كمؤرخ ومحقق للخطط .. وقد دون ذكرياته عـن أول زيارة له للمسجد الأقصى وكانت فى شهر رمضان، ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٥ .. كتب أحمد رمزى بك :

«وصلت الى مدينة القدس فى نهاية سنة ١٩٣٥ لأتولى عملاً جديداً ولألقى وجوهاً جديدة، وكان أول ما قمت به هوتوجهى لزيارة المسجد الأقصى وكان ذلك فى شهر رمضان .. دخلته وقد غمرتنى نفحة من نفحات الله، جعلتنى أشعر فى قرارة نفسى بحوادث التاريخ الجلى، وكأن كل ركن من أركان هذا المسجد يشير إلـى، وكان كل حجر من أحجار قبته يحادثنى، ثلاثة عشرة مائة من السنين، تركة ضخمة من الجهاد والمجد، هل يدرك أهلها ما هى ؟! .. هل تكون للأمم الاسلامية التى نعيش وسطها ونحيا لها عودة ؟ وهل تقوى أذرعتها ونفوسها الواهية على حمل الأمانة؟.. لم تعد تفكر فى شىء سوى ملاذها وتكالبها على المادة وما تسوقه اليه غرائزها، حينما فقدت كل عناصر القوة والانفة وانحطت الى درجة الجماد فلم تعد تهمها هذة المساجد والمدارس .. كنت أطوف بالمسجد وأنا أتأمل كل ذلك وأقول متى تتحرك أمم العروبة وتنهض من كبوتها وتستيقظ من نومها العميق .. ان كل ما أراه أمامى يدعو الى الأسى والألم، وهم بعيدون كل البعد عن حيوية المبادىء التى قامت عليها الرسالة المحمدية الكبرى .

سرت فى انحاء الحرم وهومتسع الأرجاء وتخيلته فى نفسى بفيض

صفوف المصلين، كان يبدولى صحنه ووجهاته وجوانبه يوم الفتح الاكبر، يوم دخله سلطاننا صلاح الدين بجند مصر فأقام أول صلاة للجمعة فيه، وكيف تبارى العلماء والفضلاء فجهز كل منهم خطبة بليغة طمعاً فى أن يكون خطيب ذلك اليوم ! .. كنت أفكر كيف أذن المؤذنون على منائر المسجد الأقصى وأسواره فارتجت المدينة بأصوات التكبير والتهليل، ومر أمامى كيف تقدم الملك السلطان المتواضع بقبة الصخرة فرسم للقاضى محيى الدين محمد بن زكى الدين علـى القرشى أن يخطب، وكيف ألبسه العماد الكاتب جبة سوداء من تشاريف الخلافة العباسية فلبسها وصعـد المنبر واستفتح بسورة الفاتحة ثم شرع فى الخطبة .. وكان كل هذا يمر أمام عينى ورأسى مطرق وأحبس الدمع فى عينى حتى انتهيت فدخلت الى المحراب لأقرأ أثر السلطان المجاهد بحروف ذهبية :

«أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذى هو على المؤسس عبدالله ووليـه يوسف بن أيوب أبوالمظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة» فأديت تحية المسجد فى هذا المحراب الخالد ترحمت على بانيه وعلى أرواح الشهداء وشعرت براحه تملأ نفسى حينما خرجت ماراً بمدرسة قايتباى سلطان مصر، وقد غمر الايمان نفسى وتملكتنى نشوة لم أتمالك لسانى عن التعبير عنها عندما إلتقيت سماحة مفتى فلسطين الأكبر ...

خواطر رمضانية

ما مـن رحالة أو زائر للحرم القدسـى الشريف فى شهر رمضان.. إلا وكان ملء قلبه مشهد من الروعة والجلال .. الساحة الفسيحة للحرم

والأسوار والمشاهد الأثرية التى تحيط بقبة الصخرة .. وروعة التكبيرات تنساب من داخل الأقصى وكأنما هى آتية من عالم الغيب، والقناديل الخافقة فـى أرجائه كأنما ترعد من جلال التكبير ..» والظلال تفضل الضوء فتكتب سطراً من الجمال رائعًا أوتخط آية من آيات السجدة فى هذا الحرم العظيم يقرؤها كل ذى قلب فتسجد جبهته أويسجد قلبه» !

ويحرص المقدسيون على الصلاة بالمسجد الأقصى وساحته خلال أيام رمضان، وفيه كانت تعقد حلقات دينية فى تفسير القرآن والفقه وعلم الحديث وسيرة النبى .. يتولى التدريس فيها نخبة من العلماء الأجلاء المشاهير من فلسطين والدول العربية والاسلامية، ولكل منهم يوم محدد .

وكانت «المملكة المصرية» حريصة على إرسال نجوم «دولة التلاوة» الى المسجد الأقصى فى رمضان .. وعلى رأسهم الشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ محمد صديق المنشاوى والشيخ عبد الباسط عبدالصمد والشيخ أبوالعينين شعيشع .. وكم ترددت أصواتهم الملائكية .. الخالدة .. بين جنبات وأروقـــة الأقصى .

كما كانت صلاة التراويح بساحة الأقصى مشهداً إيمانياً رائعاً، يستمر حتى ساعة متأخرة من الليل .. والبعض كان يواصل تعبده حتى صلاة الفجر .. وكثير ما كان يأتى إلى القدس مسلمون مـــن مختلف بقاع العالم الاسلامى للاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان بداخل المسجد الأقصى ..

أما يوم الجمعة اليتيمة من أيام رمضان، فكان عيداً عظيمً فى هذا الحرم المبارك .. والجموع تزحف مستبشرة شطر المسجد الأقصى، يهتدى

بسيرها من لا يهتدى طريقه .. تمر بهذه العقود الحانية علـى طريق التاريخ «الطريق المدرج» تحمل الأبنية العالية كأنها عقود السنين تنوء بما تحمل من أحداث ومواقف، ومـا أدراك ما يوم «الجمعة اليتيمة» فى المسجد الأقصى .. عيد إسلامى يشارك فيه الجميع، الرجال والنساء والاطفال، ويحرص على شهودها ضيوف الرحمن من أرجاء فلسطين والعالم الاسلامى ..

وكان كثير من رجال القدس وشبابها يفضلون قضاء سهراتهم الرمضانية فى المقاهى أو«المضافات» يستمعون الى شاعر الربابة أو«الحكواتى» .. الذى كان يتصدر المقهـــى، مرتدياً زياً مميزاً : السروال الأبيض الواسع وصديرية حمراء ومعطفاً وشماغ (غترة) وكان يخصص لـه مقعداً عالياً يزدان برسومات من الخيال الشعبى، وينشد فى جو من البهجة والانسجام بعض من السير الشعبية مثل تغريبة بنى هلال وسيرة الظاهر بيبرس والزير سالم وعنترة بن شداد والأميرة ذات الهمة.. وحكايات من ألف ليلة وليلة .

ومن أشهر المقاهى بمدينة القدس والتى كانت تقدم هذا اللون من السهرات الشعبية، مقاهى، البساطى، زعترة، ومقهى صيام بمدخل باب العمود .. وكان أشهر الحكواتية الشيخ «صالح خميس» .. كما كان يعقد فى ليالى رمضان خاصة ما يعرف بـ« السامر» وهى احتفالات شعبيه ساهرة، كانت تعرف أيضاً بـ« السحجة» و«الدحية» .. وتؤدى فيها أغانى وأشعار «المواليا» بشكل جماعى وبالتناوب بين فريقين متقابلين مصحوبـاً بالتصفيق وبأشكال بسيطة من الرقص الشعبى : الدبكة، شمالية، شعراوية، كرادية، طيارة، ابراهيمية .. وما بين العتابا والميجنا

.. يعزف على الشبابة والمجوز .. ومن الأغانى الشهيرة التى تحتضن آمال الشعب وحنيته : «الدلعونه» .. و«بارودتى حبوبتى .. ما احلى طلق زنادها» و«يارب تكبر مهرتى .. تكبر ونا خيالها» !

مضى على هذه الخواطر بكل ما تحمله من بهجة ومرارة أكثر من ثمانين عاماً، فهل لنا أن نأمل فى يوم تعود فيه فلسطين الى شعبها .. وان يعود «الحكواتى» فى ليالى رمضان ليروى تغريبة بنى فلسطين ؟!

المقدسيون مسلمون ومسيحيون فى طريقهم إلى مقبرة النبي موسى للإحتفال بذكرى مولده عام ١٨٧٠



احتفال مقدسى بالمولد النبوى الشريف عام ١٨٨٥



مؤذن مقدسی



أحد الكتاتيب المقدسية عام ١٩٠٥

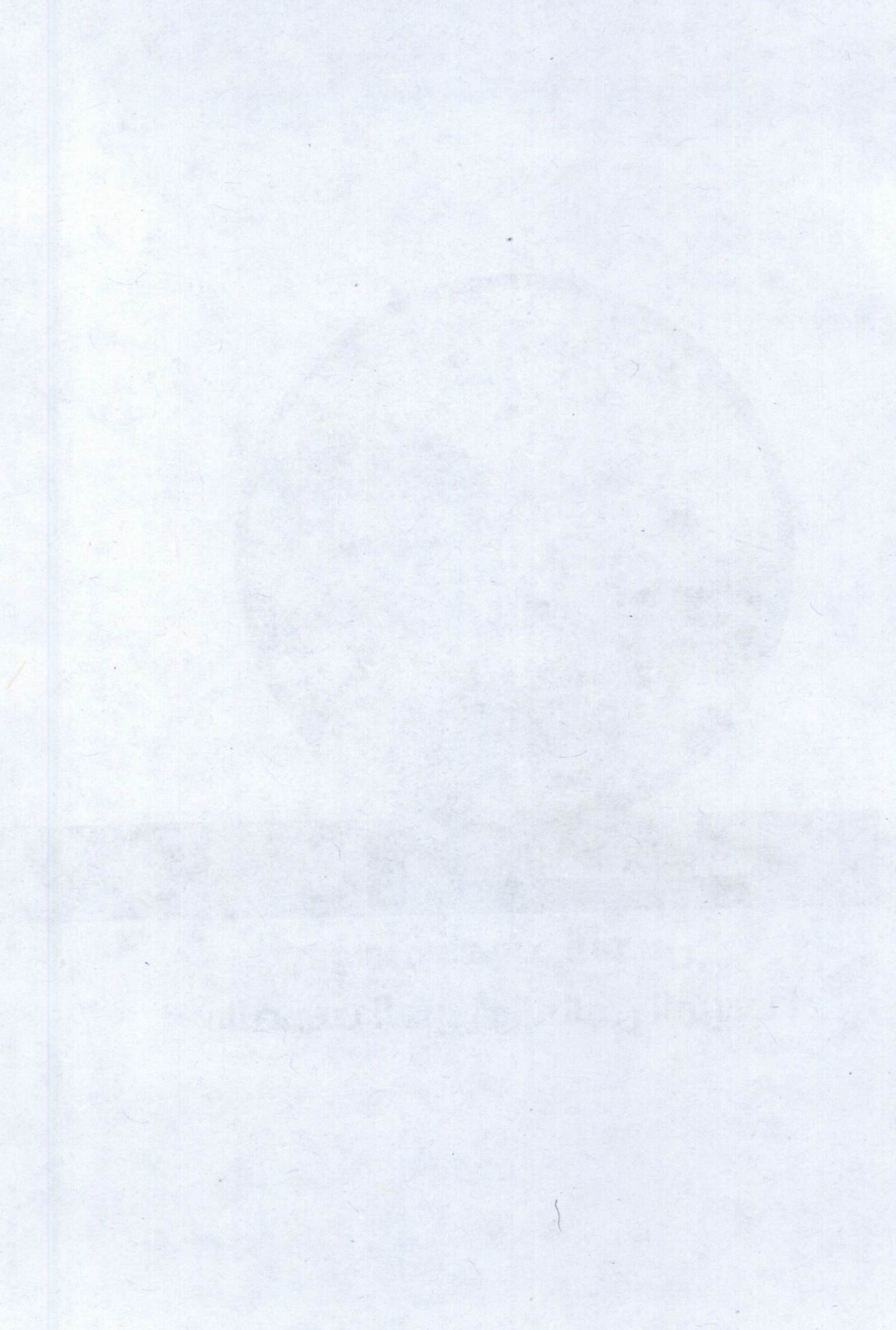


جانب من الاحتفال الكنسى بليلة الميلاد المجيد فى كنيسة القيامة



الفصــل الخامس

مؤامرة تهويد القدس
والصمت العربى والعالمى المريب !



أكذوبة اسطبل داود

عقب دخوله البيت المقدس، أمر الناصر صلاح الدين بإزالة روث الخيل من صحن المسجد الأقصى، تماماً مثلما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد أن تسلم المدينة المقدسة .. ومنذ سنوات تروج الدعاية الصهيونية لإكتشافهم اسطبل خيل الملك داود، وأن آثاره موجودة تحت المسجد، وهواسطبل داود بالفعل، لكنه ليس داود الملك، وإنما «داوود بن عيسى بن أحمد بن أيوب» المعظم السلطان الأيوبى ابن شقيق الناصر صلاح الدين الذى تولى السلطنة بعد الملك الكامل بإسم «الناصر داوود» والذى إستعاد القدس ثانية عام ٦٣٧هـ من جيوش الصليبيين الذين نقضوا عهدهم مع صلاح الدين !

وما اسطبل وبرج «داوود» بالأكاذيب الوحيدة، فهم يحاولون إيجاد أى دليل يربط موضع الأقصى بهيكلهم المزعوم.

ولم يكف الصهاينة عن التنقيب الأثرى والبحث عن جذور لليهود فى فلسطين، فمنذ عام ١٩٢٥ نشطت الجامعة العبرية فى مجال التنقيب بإشراف «سوكنيك» والد «ايجال يادين» رئيس الأركان الأسبق، وفشل فى بحثه التوراتى، ثم قام يادين نفسه بحفريات فى» حازور» خلال السنوات ١٩٥٥ - ١٩٥٨ وكانت الدورية العلمية الفرنسية الشهيرة Les Dossiers d'Archeologie، Paris، no ؛ ١٦٥-١٦٦، قد خصصت ملفاً أثرياً وتاريخياً لمدينة القدس، إعتمدت فيه على الأثاريين الإسرائيليين ونتائج حفرياتهم فى مواقع مختلفة .. وفيه اعترف الباحث الإسرائيلى «بروسحى» أن السلطة الإسرائيلية وجهت التنقيب

الأثرى بعد عام ١٩٦٧ نحومدينة القدس أوما يسمى - مدينة داود - وأشار إلى الأعمال الأثرية التى قامت بها العالمة البريطانية «كينيون» فى جنوب الحرم الشريف وبالقرب من بوابة دمشق وغيرها، بدءاً من عام ١٩٦١، وتابع بروسحى التنقيب فى بساتين الأرض وفى سفوح الأسوار، كما قام آثاريون إسرائيليون : شيلوخ، بركاى، افيجاد، مازار، مائير بن دوف .. بحفائر فى منطقة المدافن وحول الحرم القدسى، وقد إستطاعت البريطانية - الجريئة - كينيون أن تنقض جميع الفرضيات التى قامت على الإدعاءات التوراتية غير العلمية بنظرها !..

كما اعترف «بروسحى» بقوله : «لم نعثر مطلقاً على أى أثر أوشاهد للهيكل» !.. واستمر هاجس البحث عن الهيكل يشغل وزارة الأديان ومصلحة الآثار فى إسرائيل، لكنهم لجأوا إلى التعتيم على نتائج التنقيب الفاشلة فى العثور على أثر للهيكل، مما يعنى أن مدينة داود لم تكن حقيقة، وأن عدم إكتشاف هيكل هيرودس يعنى أن اليهود لم يتمتعوا فى عهده بإعتراف السلطات الرومانية، مما يتناقض مع ما ورد فى التوراة التى أقرت بأن «هيرودس» كان أكثر الحكام بطشاً لليهود !

ويشيد الباحث الإسرائيلى «زافير» إلى أن القدس فى عام ٧٠م أصبحت تحت حكم «تيتوس» الرومانى الذى احرق المعبد وهدم المدينة ولم يبق سوى على بعض الأسوار فى جنوب المدينة التى حملت اسم «ايليا كابيتولينا» ثم اجتاح البيزنطيون الشرق، وفى عام ٣٢٦م جاء قسطنطين مع أمه هيلينا لزيارة المدينة المقدسة حيث أنشأ فيها الكنائس الأولى وأصبحت القدس مركزاً للنشاط المسيحى مع بيت لحم مهد المسيح .. ثم تعرضت المدينة لإجتياح الفرس «وتراجعت مكانتها حتى الفتح الإسلامى

عام ٦٣٨م، فبدأت تستعيد هويتها العربية القديمة التى كانت عليها فى عصر اليبوسيين وإزدهرت معمارياً وإجتماعياً» .. وتؤكد الأثرية الإسرائيلية «مريام ايليون» : «ان كل ما نراه ضمن أسوار القدس يعود إلى العصر الإسلامى، وتمثل المبانى القائمة جميع العهود التى تعاقبت على القدس فى العصر الإسلامى، وأن الحفريات التى تمت فى جنوب الحرم بقصد إكتشاف أثر للهيكل قد فشلت وما عُثر عليه من آثار يعود إلى عهد الأمويين، حتى جدار المبكى أكدت لجنة البراق الدولية أنه أثر إسلامى» !

ومازالت الحفريات تتوالى بالرغم من فشل علماء الآثار، وعلى رأسهم الإسرائيليين فى تقديم أى دليل آثرى على مزاعم التوراة !.. بل أن الإكتشافات الآثرية فى فلسطين والقدس خاصة تتعارض تماماً مع أساطير التوراة !

سرقة الأرض والتاريخ

زعماء الكيان الصهيونى من «بن جوريون» إلى «نتنياهو» تحدوهم الرغبة دائماً فى قهر الإرادة العربية والإسلامية، بانتزاع درة المسلمين الغالية .. فخلال حرب يونيو١٩٦٧م، أحكم الإحتلال الإسرائيلى قبضته على القدس .

وفى ١١ يونيو١٩٦٧م عقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعاً لبحث ضم القدس إلى إسرائيل، وفى ٢٧ يونيوتقدمت الحكومة بمشروع قرار الضم إلى الكنيست، الذى وافق على القرار رقم ٢٠٦٤ الخاص بضم القدس سياسياً وإدارياً، وفى اليوم التالى أصدرت الحكومة ما يسمى : أمر القانون والنظام رقم ١ لسنة ١٩٦٧م بإخضاع المدينة للقوانين والنظم الإدارية الإسرائيلية .

فى ٣٠ يونيوعام ١٩٨٠م أقر الكنيست ما سمى بالقانون الأساسى، الذى ينص على اعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة أبدية لإسرائيل، ومقراً لرئاسة الدولة والحكومة والكنيست والمحكمة العليا!.. وضمت سلطات الإحتلال فى إجراءات تهويد المدينة، فى طابعها المعمارى والمرافق والتعليم والثقافة والإستيطان، والإعتداء على المقدسات الإسلامية والمسيحية وهدم العقارات وتهجير السكان العرب!

والفكر الصهيونى بالنسبة للقدس، يتمثل واضحاً فى قول الإرهابى الراحل بيجين: «لا وجود لدولة إسرائيل بدون القدس، ولا وجود للقدس بدون الهيكل»!

وقبيل مصرعه بنحوثلاثة أشهر، قال رابين: «القدس التى على الأرض، هى ملك خاص للإسرائيليين، أما العرب فلهم القدس التى فى السماوات»!!

والنشرات الدعائية الخاصة بالمركز الإعلامى الإسرائيلى بالقدس، تزخر بفقرات تكشف حرص الإسرائيليين على تزييف التاريخ، كمكون رئيسى فى الفكر الصهيونى، فبعد سرقة الأرض .. يسرقون أيضاً التاريخ!.. تقول إحدى النشرات المسمومة: «القدس هى عاصمة إسرائيل، وفيها مقر الحكومة، وهى المركز الروحى والقومى للشعب اليهودى، منذ أن بناها الملك داود وجعلها عاصمة لمملكته عام ١٠٠٠ق.م، ولم تكن القدس أبداً، باستثناء العهد القصير للمملكة الصليبية، عاصمة إلا لدولة يهودية، كان ذلك طوال قرون عديدة فى العصور القديمة ومرة أخرى منذ عام ١٩٤٨م...»!!

كان استيطان القدس من أهم ركائز الدعوة لدى زعماء الصهيونيين الذى كانوا يرددون أمام بسطاء اليهود فى العالم باستمرار أحد المزاعم اليهودية التى تقول: «إن أقدامنا كانت تقف عند أبوابك يا قدس، يا قدس التى بقيت موحدة».

وحين انتهت الحرب العربية - الإسرائيلية عام ١٩٤٨م تمكنت القوات الإسرائيلية من تحقيق نصف ذلك الحلم الصهيونى. فقد احتلت ٦٦,٢٪ من المساحة الكلية لمدينة القدس. ولكن البلدة القديمة وما فيها من مقدسات ظلت بيد العرب.

ثم جاءت حرب ١٩٦٧م لتمكن القوات الإسرائيلية من إحكام قبضتها على الجزء المتبقى من المدينة. وفى ١٩٦٧/٦/٨م كان الحاخام شلوموغورين - حاخام جيش الدفاع الإسرائيلى آنذاك يقف على رأس ثلة من الجيش بالقرب من الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف (حائط المبكى) ويقيم شعائر الصلاة اليهودية معلناً فى ختامها أن حلم الأجيال اليهودية قد تحقق. فالقدس لليهود ولن يتراجعوا عنها وهى عاصمتهم الأبدية.

وفعلاً جاءت الإجراءات الإسرائيلية فى مدينة القدس منذ ذلك الحين لتؤكد هذه المقولة.

ففى ١٩٦٧/٦/١١م أى بعد احتلال القدس كلها بأيام عقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعاً لبحث ضم القدس إلى إسرائيل وتوالت اجتماعاتهم إلى أن تقدمت للكنيست بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٧م بمشروع قرار لضم القدس إلى إسرائيل.

ولقد وافق الكنيست فى اليوم نفسه على قرار الضم وجرى إلحاق القدس العربية بإسرائيل سياسياً وإدارياً بموجب الأمر رقم ٢٠٦٤ .

وفى اليوم التالى أصدرت الحكومة الإسرائيلية ما سمى أمر القانون والنظام رقم ١ لسنة ١٩٦٧م وأخضعت بموجبه منطقة تنظيم مدينة القدس للقوانين والنظم الإدارية الإسرائيلية.

وفى ١٩٨٠/٧/٣٠م، وبعد ثلاثة عشر عاماً من إجراءات الضم والتهويد، أقرت الكنيست الإسرائيلية ما سمى القانون الأساسى للقدس الموحدة الذى نص على اعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة لإسرائيل ومقراً لرئاسة الدولة والحكومة والكنيست والمحكمة العليا . ويدعوالقانون إلى اتخاذ الإجراءات التى من شأنها تنفيذ نصوص هذا القانون .

وكانت السلطات الإسرائيلية قد شرعت منذ بداية الإحتلال تنفذ الإجراءات الرامية إلى تهويد المدينة وإحكام القبضة الصهيونية عليها . ويمكن إيجاز هذه الإجراءات على النحوالتالى:

تهويد المرافق العامة والخدمات . وقد تمثل ذلك فى :

- حل مجلس أمانة القدس العربية وإلحاق موظفيها وعمالها ببلدية القدس المحتلة منذ عام ١٩٤٨م .

- تهويد القضاء بنقل مقر محكمة الإستئناف من القدس إلى رام الله، وفك ارتباط القضاء النظامى فى مدينة القدس عن الضفة الغربية، وإلحاق مواطنى القدس بالمحكمة الشرعية فى مدينة يافا المحتلة منذ عام ١٩٤٨م، وتطبيق القوانين الإسرائيلية الجزائية والمدينة والضريبية على مواطنى القدس العربية وإخضاعهم للقضاء الإسرائيلى .

- تهويد مرافق الخدمات العامة بإلغاء الإدارات العربية ونقل قسم منها إلى خارج مدينة القدس، وربط شبكتى المياه والهواتف بالقدس العربية المحتلة منذ عام ١٩٤٨م، وإلحاق الدوائر العربية بالدوائر الإسرائيلية، وسن تشريع يفرض على أصحاب المهن العرب الإلتحاق بالمؤسسات الإسرائيلية حتى يسمح لهم بمزاولة مهنهم .

- نقل عدد من الوزارات والدوائر الرسمية الإسرائيلية إلى القدس العربية منها محكمة العدل العليا ووزارة العدل ومقر رئاسة الشرطة ومكتب الهستدروت ووزارة الإسكان ومكاتب المؤتمر الصهيونى ومقر رئاسة الوزراء .

- تهويد التعليم والثقافة بإلغاء مناهج التعليم العربية فى المدارس الحكومية بمراحلها الثلاث وتطبيق منهاج التعليم الإسرائيلى،

والإستيلاء على متحف الآثار الفلسطينى، وحظر تداول مئات من الكتب الثقافية العربية والإسلامية، وإطلاق الأسماء اليهودية على الشوارع والساحات فى القدس العربية .

- تهويد الإقتصاد بعزل القدس جمركياً واقتصادياً عن الضفة الغربية، واخضاع المرافق الإقتصادية والتجارية العربية لأنظمة الضرائب الإسرائيلية، ولا سيما ضريبة القيمة المضافة، تمهيداً لتصفيتها، والإستيلاء على شركة كهرباء القدس وتصفيتها باعتبارها المرفق الإقتصادى العربى الأكثر أهمية فى القدس .

محاولة القضاء على التراثين الإسلامى والمسيحى وتدمير المقدسات :

تمثل هذا النهج فى عدد من الإجراءات التى تمت ضد الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية بهدف تدميرها وتشويه الطابع الحضارى لمدينة القدس وإزالة الأماكن المقدسة والقضاء على ما تمثله هذه الأماكن من ارتباطات إسلامية ومسيحية بالمدينة المقدسة . ويمكن إيراد بعض الأمثلة فى هذا المجال :

الحفريات حول المسجد الأقصى المبارك وتحته للعثور على الهيكل الذى تدعى إسرائيل وجوده فى منطقة المسجد الأقصى . وقد ابتدأت الحفريات فى أواخر عام ١٩٦٧م ولا تزال مستمرة حتى الآن . وقد مرت هذه الحفريات بثمانى مراحل وأدت إلى هدم وتصدع الكثير من العقارات الإسلامية المجاورة للمسجد الأقصى .

وما أثير فى وسائل الاعلام خلال شهرى المحرم وصفر ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م حول قيام السلطات الاسرائيلية بحفائر بجوار المسجد

الأقصى ومشهد الجرافات الاسرائيلية وهى تهدم أجزاء من باب المغاربة، هواستمرار للمؤامرة الاسرائيلية على الحرم القدسى الشريف، منذ احتلال المدينة المقدسة فى حرب يونيو١٩٦٧، والتى اتخذت مظاهر وأساليب متعددة بهدف تخريب هذا الأثر الاسلامى الجليل وازالته تمهيداً لاقامة ما يسمى بـ«هيكل سليمان» على أنقاضه، وأعمال الحفر تمت على عدة مراحل بدأت فى ذلك العام الأسود، من أسفل السور الجنوبى للحرم متجهة شمالاً الى «باب المغاربة» ومروراً بعدد هائل من المبانى الدينية والحضارية الاسلامية، وصولاً الى أسفل أبواب الأروقة الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى، والانفاق تمتد بعمق ١٣ متراً و٢٠ متراً فى بعض المواضع، وفى احداها ـ أسفل الحرم الشريف ـ أقيم كنيس يهودى من طابقين وبداخله «قدس الأقداس» ويحتوى لفائف التوراة، وفى حفل الافتتاح قال الحاخام الاكبر : «اننا نحتفل اليوم بافتتاح هذا الكنيس وقد أقمناه هنا تحت الحرم مؤقتا وغداً سنحتفل بهدم هذا الحرم وقيام معبدنا الكبير واعادة بناء هيكلنا، وهى أرضنا ولن يبقى أحد من هؤلاء العرب فى بلادنا» !

المسجد الأقصى، وكل مجموعة الحرم القدسى الشريف وما حولها، مهددة بالانهيار، بالرغم من قرارات الأمم المتحدة والهيئات الدولية، ولكن منذ متى يحترم هؤلاء قرارات المنظمات الدولية، منذ عام ١٩٦٧ ومجلس الحاخامات اليهود بالتخطيط مع جنرالات العدووالجماعات اليهودية المتطرفة، يسعون لهدم الأقصى واقامة «الهيكل الثالث» المقدس .. هؤلاء قوم لايحترمون عهوداً أومواثيق طبقاً لصلاة «كول فيدريه» أوكل نذرة .. التى تفتتح بها طقوس عيد الغفران «يوم كيبور» وهى اعلان بالتحلل من كل العهود والمواثيق التى قطعها اليهودى على نفسه طوال

العام .. هل يعلم من يسعون وراء «وهم السلام» شيئاً عن صلاتهم هذه ؟!

إحراق المسجد الأقصى الذى دبرته سلطات الإحتلال فى ١٩٦٩/٨/٢١م والمحاولات التى جرت لنسفه فى مطالع عام ١٩٨٠م على يد الحاخام مئير كاهانا.

الإعتداءات على الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية ومحاولة إقامة الصلوات فى ساحة المسجد الأقصى، وسرقة بعض محتويات كنيسة القيامة، واستملاك الأراضى التابعة لبعض الأديرة المسيحية فى القدس، والإعتداء على المقابر الإسلامية .

وفور الإنتهاء من عمليات المصادرة والهدم داخل القدس العتيقة، وفى إطار المرحلة الأولى من الإستيطان، أقامت أول حى سكنى يهودى فيها وسوق تجارية ومعبد يهودى، أقيمت كلها على أنقاض أربعة أحياء عربية هى : حى الشرف، حى الباشورة، حى المغاربة، وباب السلسلة .

وتسارعت وتيرة الإستيطان داخل المدينة القديمة، متزامنة مع اجراءات التهويدية الأخرى، وعلى رأسها توسيع ساحة حائط البراق على حساب العقارات الوقفية الإسلامية، وترحيل الأسر العربية من المناطق المجاورة للحى اليهودى، واصدار القرارات والقوانين لتجريد المقدسيين من أملاكهم، ووضع اليد على المزيد من الأراضى والعقارات فى القدس العتيقة وخارج أسوارها، وتزايد عمليات الحفر تحت الجدارين الغربى والجنوبى للمسجد الأقصى المبارك، فى المناطق العربية الممتدة شمالاً حتى مدينتى رام الله والبيرة، وشرقاً حتى أبوديس والعيزرية، وغرباً حتى اللطرون، وجنوباً حتى بيت لحم، وبأقصى سرعة تم تنفيذ مشروعات استيطانية حتى عام ١٩٨١ تمهيداً لمشروع «القدس الكبرى» الذى إقتطع ٣٣٪ من مساحة الضفة الغربية، بهدف عزل القرى العربية :

شعفاط، بيت حنينا، الرام، كفر عين، الشيخ جراح وغيرها .. وواصلت السلطات الإسرائيلية تشويه الطابع العربى للمدينة بسلسلة من القلاع الخرسانية المتمثلة - المرحلة الثانية - فى تسع مستوطنات كبرى هى : رامات أشكول، معلوت دفنا، سانهدريا، جبعات همفتار، النبى يعقوب، وحى التلة الفرنسية، حى الجامعة العبرية، تل بيوت، تل عناتوت .. وجميعها داخل حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧.

ثم كانت المرحلة الثالثة أوالحزام الإستيطانى الثالث، فى إطار مخطط عزل مدينة القدس نهائياً عن الضفة الغربية بسياجات من المستوطنات الضخمة، وتقطيع أوصال الضفة الغربية جغرافياً وديموجرافياً والقضاء على كثافة الوجود الفلسطينى، وشملت هذا الحزام الإستيطانى خمس عشرة مستعمرة هى : عطروت، جيلوها رجيلو، روش، جبعون الثانية، نيفى حورون، معاليه أدوميم الأولى والثانية والثالثة، راموت، بيت حورون، جبعا حداشا، مخميس، جلميش، بزجات زئيف وجفعات زئيف .. دون أن نغفل الدعم الأمريكى واللوبى اليهودى من أجل أن تتوفر لمدينة «القدس الكبرى» كل عوامل الجذب وإستقطاب النشاطات الإستثمارية والسياحية والصناعية لليهود من جميع أنحاء العالم !

لقد تصاعدت فى العامين الآخيرين وتيرة الإستيطان اليهودى - دون أدنى إعتبار للأعراف والقوانين الدولية و«مفاوضات السلام» !.. حتى ينتهى مخطط تهويد القدس عام ٢٠١٥ كما أعلنت سلطات دولة الإرهاب !.. والتى أعلنت إلغاء الإقامة فى القدس لـ ١٤٥٦١ فلسطينياً خلال العام ٢٠١٣ ورفضت تسجيل شهادات ميلاد لعشرة آلاف طفل ولد بالمدينة المقدسة .. وفى عشية إستئناف المفاوضات الصهيونية - الفلسطينية وافقت بلدية القدس على بناء ٩٤٢ وحدة إستيطانية و٤٠٠ فيلا للإسكان

الفاخر ؟.. ثم ما يسمى بقانون الولاء والذى يتم بموجبه تفريغ القدس من أهلها الفلسطينيين بالإضافة إلى ١٢٠ ألفاً منهم ألقى بهم الجدار العازل إلى خارج القدس، ويمضى مخطط تهويد المدينة العربية وإنتهاك الحقوق التاريخية ولا نملك سوى بيانات الشجب والإدانة ؟

وبينما تتشدق الإدارات الأمريكية المتعاقبة والإتحاد الأوروبى ب «الشرعية الدولية» التى طُبقت فقط على العراق حتى تدميره (تتداعى إلى الذاكرة مانشتات الصحف العربية قُبيل الحرب على العراق : العراق أولاً ثم إسرائيل ؟) تجد هذه «الشرعية الدولية» تتوارى خجلاً أمام صلف دولة الإرهاب الصهيونى وعدم إلزامها بجميع قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة الخاصة بالقدس بدءاً من القرار رقم ٢٢٣٥ فى الرابع من يوليوعام ١٩٦٧ وجميع القرارات التى نصت على «الغاء كل التدابير التى إتخذتها السلطات الإسرائيلية فى القدس والإمتناع فوراً القيام بأى عمل من شأنه أن يبدل من وضع القدس» .. كما تضمنت هذه القرارات رفض مجلس الأمن» إعتبار كل الإجراءات الإدارية والتشريعية والأعمال التى قامت بها إسرائيل، بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأملاك التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير فى الوضع القانونى للقدس : إجراءات باطلة» و«يدعوإسرائيل بشدة إلى أن تلغى هذه الإجراءات» و«إبداء الأسف لعدم إمتثال إسرائيل لهذه القرارات» ؟

فدولة الإرهاب الصهيونى تتحصن دائماً بالفيتوالأمريكى، والدعم بلا حدود وفى جميع المجالات من الإدارات الأمريكية - راعى السلام - الخاضعة لتعليمات لجنة» ايباك» ودعم الكونجرس الأمريكى الأكثر صهيونية من الكنيست الصهيونى ؟

حتى لا ننسى القدس

إنّ العهدة العمرية التى وقّعها الخليفة عمر بن الخطاب مع البطريرك صفرونيوس تُعتَبر أساساً استراتيجياً لعلاقة المواطنين المسلمين والمسيحيين وتعايشهم فى القدس الذى دام على مدى قرونٍ طويلة، وإنّ المسلمين والمسيحيّين فى القدس وفى أنحاء فلسطين كافة، هم شعبٌ عربي، والعهدة العمرية تعبيرٌ عن الامتداد التاريخى للثقافة والتراث العربيّيْن العريقيْن اللذيْن يقومان على الدفاع عن مبادئ الحق والعدل والسلام، وهويتجلّى فى مدينة القدس التى تشكّل امتداداً لرسالة العرب والمسلمين ومساهمتهم المتميزة فى إثراء الحضارة الإنسانية.

وتحت عنوان: «حتى لا ننسى القدس» بأخبار اليوم ٢٧ أبريل ٢٠١٣، كتب شيخ الإسلام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف د.أحمد الطيب: «قال الحق سبحانه وهوأصدق القائلين:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾

«الإسراء: ١»

إن قضية العرب والمسلمين وهى القضية الأولى فى التاريخ المعاصر؛ كذلك كانت – وما تزال – خلال القرن المنصرم، ومدينة القدس أولى القبلتَيْن ومسرى الرسول الأعظم، صلى الله عليه وسلم، فيها المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين الذى بارك الله حوله، وقبة الصخرة المشرفة، وكنيسة القيامة، مدينة عربية-إسلامية ترزح الآن تحت الاحتلال

الصهيوني، ويتمسّك العرب والمسلمون بعروبتها وبحقوقهم التاريخية فيها، وبالسيادة عليها مهما طال الزمن وبلغت التضحيات، ويقاومون محاولات إفراغها من أهلها العرب، مسلمين ومسيحيّين، وعمليات تهجير أهلها والاستيلاء على عقاراتها والمصادرة لأراضيها، وبناء المستعمرات فيها ومن حولها، وتغيير معالمها الدينية والتاريخية وطمس هويتها العربية، كما يقاومون كل اعتداءات اليهود على أماكنها المقدسة الإسلامية والمسيحية، ويعاهدون الله على تحريرها وإعادة بسط سيادة الأمة عليها . وفلسطين أرض عربية إسلامية، وما طرأ عليها من احتلال وتهويد، هو باطل، وتجب مقاومته وإزالته بكلّ الوسائل المتاحة مهما كلّف الأمر وطال الزمن، ومعركة القدس ومصيرها جزء أساس من معركة فلسطين ومصيرها، وأنّ كلّ ما أقيم من مستوطنات فيها هوجزءٌ من عملية استعمارية استيطانية، لا تكتسب أية شرعية قانونية أوسياسية، مهما مضى عليها من زمن، ولا تضفى أيّ نوعٍ من أنواع الشرعية على الوجود الصهيونى فيها.

كلمة ليست أخيرة :

الحقيقة التى تحكم الكيان الصهيونى، وستظل تحكمه : أن العقول التى عششت فيها فكرة «الإرهاب» والتى إستمتعت بالعمل السرى لم تستطع التخلص من ممارسة الإرهاب وتدبير المجازر اليومية والإبادة ضد الشعب الفلسطينى منذ عام ١٩٤٨، و«صحيفة سوابق» دولة الإرهاب الصهيونى طافحة بالجرائم التى تتوارى أمامها خجلاً جرائم النازية !

وفى دولة يتحالف فيها «الحاخام والإرهابى والجنرال» يتصاعد التطرف الدينى اليهودى وضغوط جماعات» الهاريديم» و«الكاباليست»

والمنظمات الشبابية الإرهابية النشطة من أجل «مملكة إسرائيل» بالتنسيق مع كبار الحاخامات من أصحاب التعاويذ وتجار البركات التوراتية .. مازال حكامنا يتحدثون عن «السلام» بينما الأرض والمقدسات والكرامة فى فم الذئب و«الراعى الأمريكى» يسوقنا بعصاه، وإعلامنا العربى الغارق فى التفاهة والسطحية وتزييف الوعى بهدف إبعاد الشباب عن مجرد التفكير فى قضية» فلسطين» والإقتراب من أبواب القدس المخضبة بدماء الشهداء .. هل صارت سيوف العرب مجرد حيلة تراثية صدئة فى مضارب الصحراء ؟.. فمتى نخرج من خيامنا القديمة ونوقظ ضمائرنا التى ماتت على أرصفة العهر السياسى، ومتى تتوقف ألسنتنا الطويلة عن الشجب والإدانة وإنشاء قصائد البطولة، وأى الأنهار يمكنها أن تغسل «عارنا» وفلسطين تستصرخ «المعتصم» فلا تجد غير الصدى .. فهل صار «المعتصم» عبداً خصياً ..؟

إن إستعادة القدس عاصمة فلسطين هوإستعادة لشرف وعزة وكرامة الأمة العربية، ومن واجبنا جميعاً، أن ندرك مخاطر وأبعاد التآمر الصهيونى وكفانا عقد الآمال الكبار على أمريكا - راعى السلام - فبإسم السلام كم إرتُكب من جرائم ومن مفاوضات .. لم نأخذ منها غير المائدة ؟

وبعد .. فهذه الصور والمشاهد هى جولة فى دروب المدينة المقدسة - إبان مجدها العربى الإسلامى - دروب روحها الأصيلة .. كل صورة توقظ فينا من الشجون وكأننا نجول فى دروب أرواحنا نحن، ونستسلم للزمن الردىء عندما تتحول كل صور أمجاد الماضى إلى مجرد ذكريات ؟؟

تهويد القدس.. معركة اسرائيل الكبرى ضد هوية فلسطين

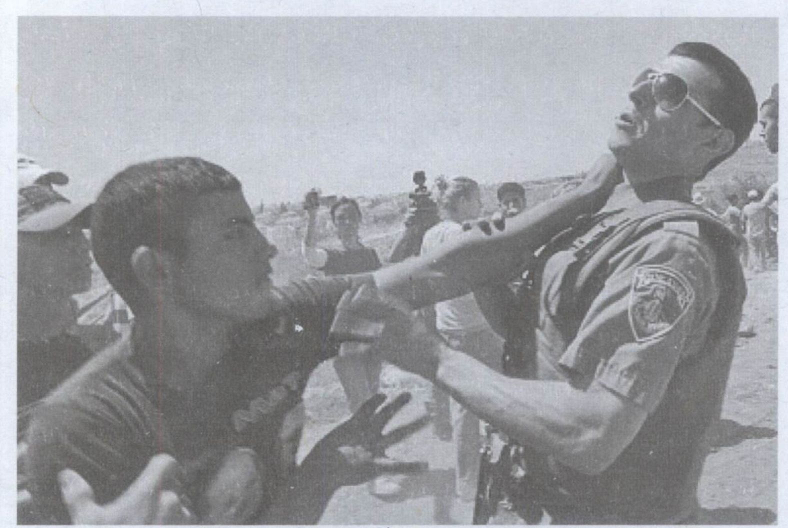


الاحتلال يهدف لاضفاء طابع تلمودي فى اطار مخططات التهويد

.. وتتواصل الحفريات الصهيونية داخل المسجد الاقصى



الاستيطان يتوحش فى القدس


بذراع عارية يواجه رمز الألة العدوانية الصهيونية


متطرفون يهود يتطلعون إلى سيطرة تامة على كل أرجاء القدس

السيرة الذاتية

الكاتب والمؤرخ : **عرفه عبده على**

عضو اتحاد الكتاب .

- نشر له العديد من الدراسات والمقالات بالصحف والدوريات المصرية والعربية .
- تخصص فى تاريخ اليهود فى مصر ، وتاريخ القاهرة ومعالمها ، وأدب الرحلات .
- بدأ الكتابة عام ١٩٨٧ بنشر سلسلة دراسات تناولت الاختراق الفكرى الصهيونى للمجتمع المصرى وعصر الامتيازات الامريكية، والكشف عن نشاط المركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة ... وبضغط من مدير المركز الأكاديمى الإسرائيلى أجبر على تقديم استقالته من المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .. و وضع على قائمة " الموساد " !! .. (روز اليوسف فى ٢٨ أكتوبر ١٩٩٦) .
- مساعد مدير مكتبة المعهد الفرنسى للأثار الشرقية بالقاهرة - مدير مكتب كامل زهيرى نقيب الصحفيين العرب والمصريين سابقاً

مؤلفاته مراجع للمؤرخين الأجانب والباحثين المصريين والعرب ، كما عممت وزارة الخارجية مؤلفاته عن يهود مصر بالسفارات والقنصليات المصرية بالخارج

١. تهويد عقل مصر ، دار سينا للنشر ، ١٩٨٩م (نشر أيضا حلقات مسلسلة بجريدة الوطن الكويتية) .
٢. رحله فى زمان القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٠ م .
٣. جيتو إسرائيلى فى القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٠ م .
٤. وصف مصر بالصورة ، دار الشروق ، ١٩٩٣ م ، رُشح لجائزة أحسن كتاب فى معرض فرانكفورت الدولى عام ١٩٩٦ ، يعاد طبعه حاليا باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية .
٥. ملف اليهود فى مصر الحديثة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٣ م (نشر أيضا

حلقات بجريدة الشرق القطرية ـ ١٩٩٤).

٦. قراءة فى الفكر الإسرائيلى المعاصر (حلقات مسلسلة بجريدة الشرق القطرية ١٩٩٤).

٧. موالد مصر المحروسة ، دار عين للدراسات ، ١٩٩٧ م .

٨. يهود مصر .. بؤساء وبارونات !.. ، ايتراك ، ١٩٩٧ م .

٩. القاهرة فى عصر إسماعيل ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٨ م .

١٠. مملكة الأقطاب والدراويش ، هيئة قصور الثقافة ، ١٩٩٨ م .

١١. رمضان فى الزمان الجميل ، كتاب الجمهورية ، ديسمبر ١٩٩٩ (١٣ طبعة) .

١٢. يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ م .

١٣. تحالف الحاخام .. والجنرال !.. ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢ م .

١٤. إيلى كوهين فى دمشق ، كتاب الجمهورية ، طبعتان ، مايو ، يونيو ٢٠٠٨م

١٥. القاهرة .. رحلة فى المكان والزمان ، تقديم جمال الغيطانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٠م

١٦. يهود مصر .. منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠١٠م

١٧. المحمل وأيامه ، كتاب اليوم ، مؤسسة أخبار اليوم ، أكتوبر ٢٠١٢م

١٨. أوروبيون فى الحرمين الشريفين .. عالم الكُتب ، ٢٠١٣

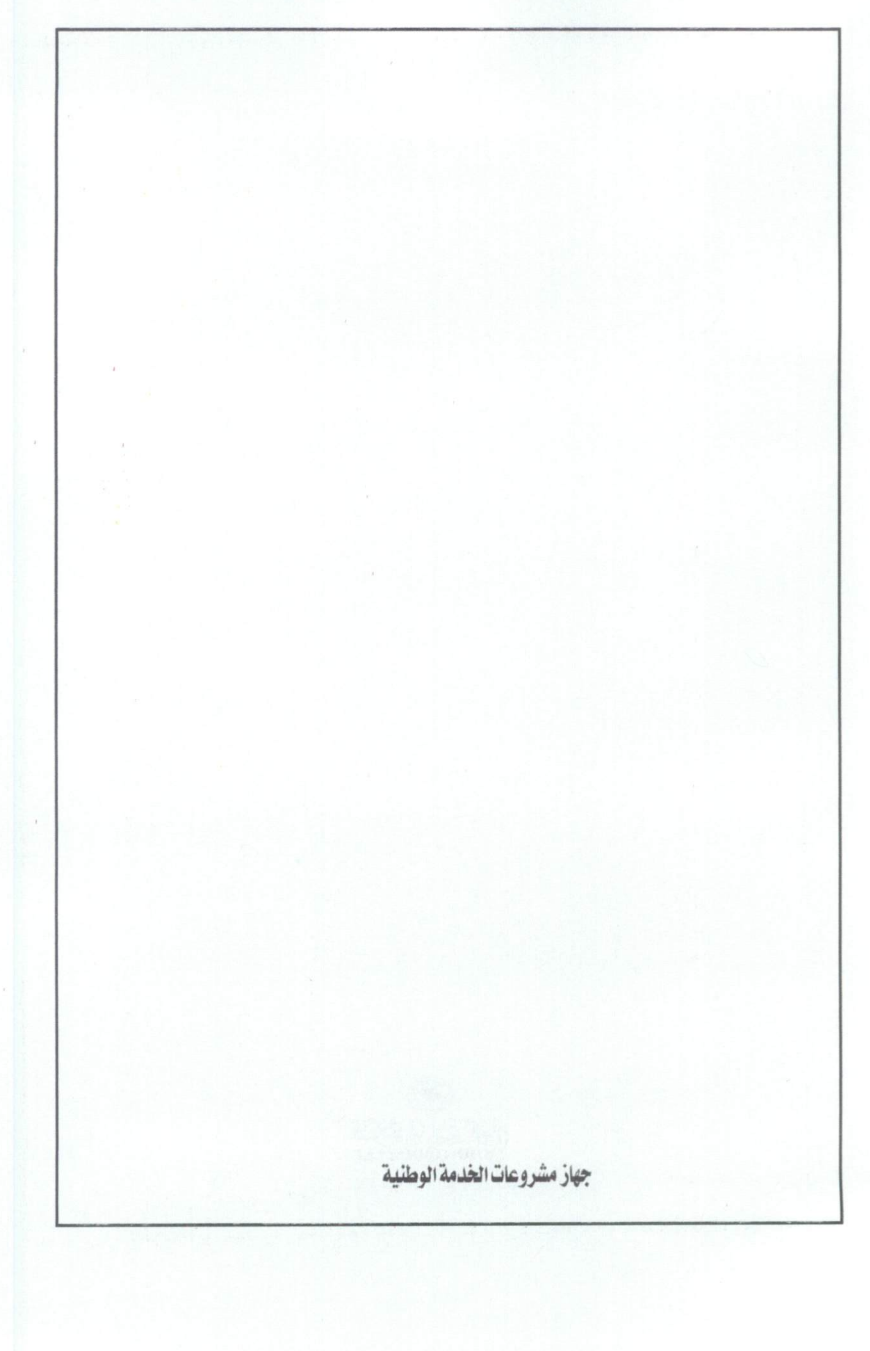
تحت الطبع :

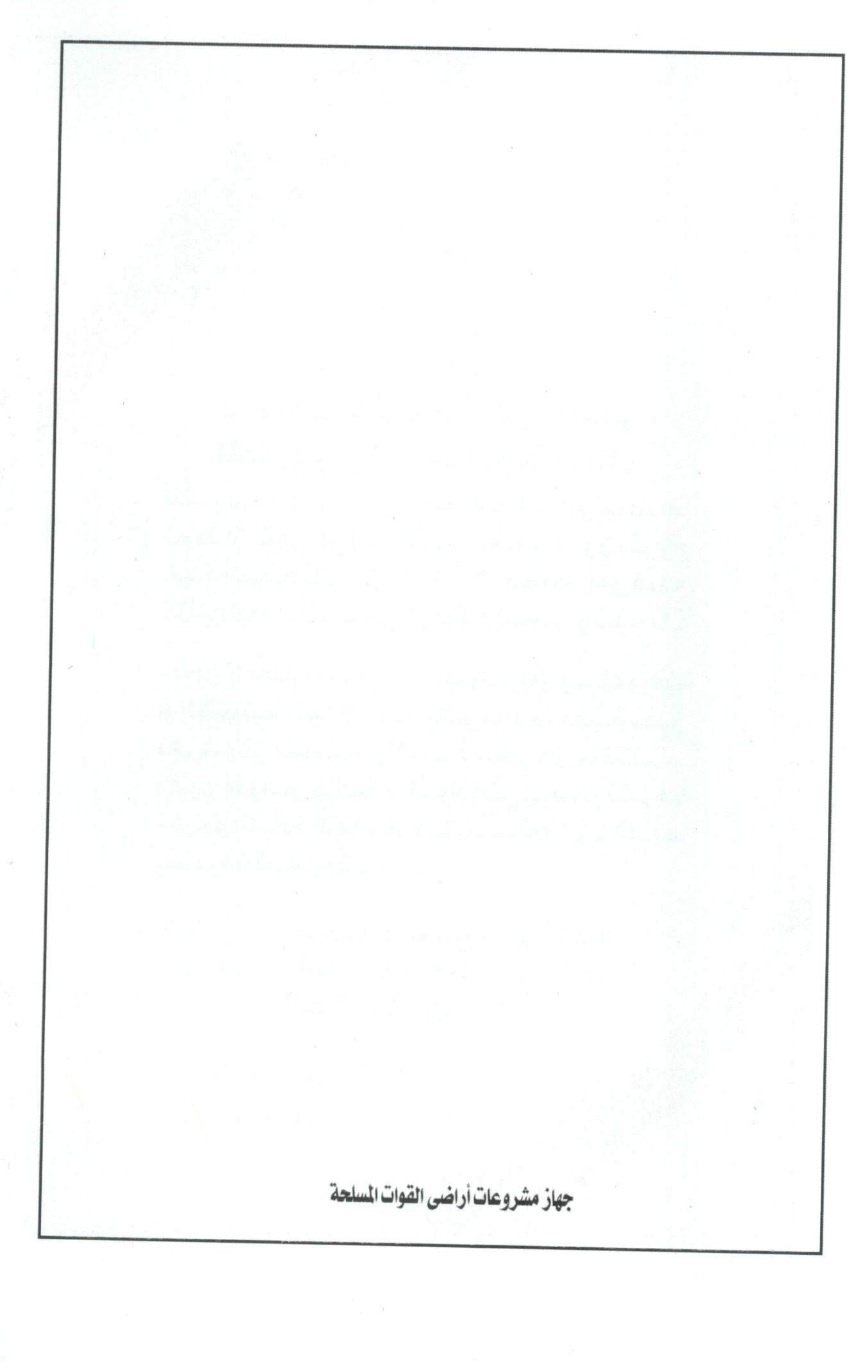
- الإسكندرية .. ذكريات مدينة لا تُنسى
- مصر بعيون نسائية اوروبية

الفهرس

رقم الإيداع: 25298 / 2015/78
I. S. B. N الترقيم الدولى
978 - 977 - 08 - 1686 - 8


الشركة الشرقية ايسترن كومباني
EASTERN COMPANY S.A.E


جهاز مشروعات الخدمة الوطنية


جهاز مشروعات أراضى القوات المسلحة